الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues
جامعة البويرة
قسم اللغة والأدب العربي

التخصص:دراساتأدبية

التنـــاص الديني في شعـر الزبـير دردوخ

"قصيدة مرثية لآخر نخلة" أنموذجا

مذكرة من متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

من إعداد الطالبتين:

- **النخلة يوسفي**
- **حياة لعيدي**

تحت إشراف الأستاذ:

– جمال قالم

اللجنة المناقشة:

- أ-قاسي صبرينة.....رئيسا
- أ-**جمال قالم**..... مشرفاومقررا
- أ-عمرو رابحي.....ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2016/10/11

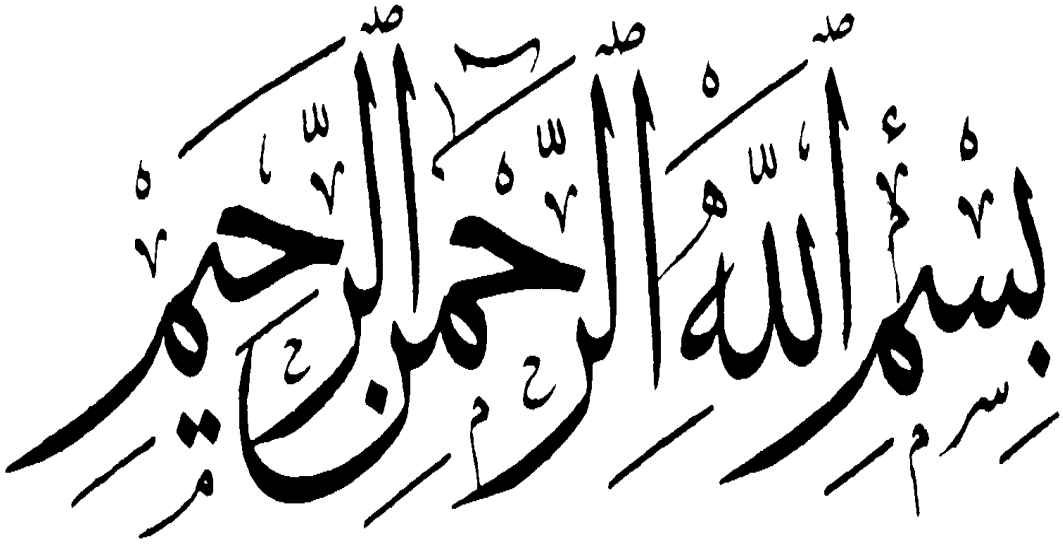
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم

ً فاذكروني أذكركم واشكرولي ولا تكفرونً

الحمد لله الذي وفقنا لاتمام هذا العمل

وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم

ً من لم يشكر الناس لم يشكر اللهً

نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى الاستاذ المشرف: قالم جمال

الذي كان نعم المشرف ولم يبخل علينا بتوجيهاته والى كل أساتذة وطاقم كلية الآداب واللغات

الى كل من ساهم في اتمام هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد

ونرجو أن نكون قد وفقنا في هذا العمل والجهد

الإهداء

إلى من اهدي .....؟

إلى أطيب وأحن قلبين في الوجود

إلى من أوجب الله برها والإحسان إليها

إلى من جعل الله جنان الخلد تحت قدميها

والى من شبعني بدفئه وحبه وحنانه

إلى من رفعت رأسي عاليا إفتخارا به

إلى الجواد الذي علمني معنى العزة والإصرار

إلى والدي ووالدتي أهدي عصارة جهدي

إلى أفراد العائلة إخوتي جمال الدين عبد اللطيف خالد

إلى أختي سعدية فتيحة وزوجها وفلذات كبدها وصال وائل

إلى الذين زرعوا في نفسي حب البحث والدأب والسهر على العمل

إلى صديقتي حياة التي شاركتني أعباء البحث أقدم لها عربون محبتي لصبرها معي

إلى رفقة ألفناهم وأنسنا بصحبتهم

النخلة

الإهداء

إلى من اهدي .....؟

إلى أطيب وأحن قلبين في الوجود

إلى من أوجب الله برها والإحسان إليها

إلى من جعل الله جنان الخلد تحت قدميها

والى من شبعني بدفئه وحبه وحنانه

إلى من رفعت رأسي عاليا إفتخارا به

إلى الجواد الذي علمني معنى العزة والإصرار

إلى والدي ووالدتي أهدي عصارة جهدي

إلى أفراد العائلة إخوتي جمال الدين عبد اللطيف خالد

إلى أختي سعدية فتيحة وزوجها وفلذات كبدها وصال وائل

إلى الذين زرعوا في نفسي حب البحث والدأب والسهر على العمل

والى رفيق الدرب مصطفى. وكل افراد عائلته الكرام

إلى صديقتي حياة التي شاركتني أعباء البحث أقدم لها عربون محبتي لصبرها معي

إلى رفقة ألفناهم وأنسنا بصحبتهم

النخلة

مـــقـــدمـــة

مقدمة:

يعتبر التناص بابا كبيرا في الدراسات التي تناولت النصوص الأدبية قديما وحديثا رغم اختلاف مسمياته، وتأخر رصده بشكل يمنحه حقه في الدرس النقدي، وأثره في تطور الإبداع، حيث عرفت الدراسات النقدية الغربية والعربية اختلافاً كبيراً في اعتماد المناهج الحديثة، التي أولت اهتماما واسعا بتحالف النصوص في نسيج واحد، ومدى استحضار النص اللاحق للنص السابق ويعد التناص من أبرز هذه الآليات الحديثة، فصار ملاذا للكثير من الباحثين ولنقاد، لأجل استنطاق النصوص.

فالتناص الأدبي يقوم على تداخل نصوص أدبية قديمة وحديثة، سواء كانت شعرا أ ونثرا، ولهذا خصصنا هذه الدراسة لنوع من أنواع التناص وهو" التناص الديني" في الشعر الجزائري المعاصر عامة، وفي شعر الزبير دردوخ على وجه الخصوص من خلال دراستنا لقصيدته " مرثية لآخر نخلة" لتزنها بهذا الجانب الديني، إذ سيكون محور دراسة التناص الديني من خلال القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، إضافة إلى الشخصيات والأحداث التاريخية والدينية. ويحاول هذا البحث أن يبرز أهمية الاقتباس والتضمين من المصادر الدينية، مما جعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية.

لقد تفاعل الشاعر مع التراث الديني فدأب إلى العودة إليه، لأنه يشكل رافدا أساسيا من روافد الحركة الشعرية المعاصرة، واعتمد عليه وأخضعه لتجاربه، في قراءة جديدة لنص جديد آخر غير الذي هـ ومحور التعالق.

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع، كنموذج للدراسة والتحليل إلى أنّ توظيف التناص في شعر الزبير دردوخ الذي كان موجود بكثرة لا سيما من الجانب الديني.

أما السبب الثاني، فهو عدم انتشار دواوين الشاعر في الساحة الفنية والأدبية بكثرة. إضافة إلى إعجابنا بهذا الموضوع، وعليه انطلقنا من الإشكالية التالية:

- ما هي أهمية التناص بالنسبة للمتعلم؟.
- ما مدى استيعاب القارئ لظاهرة التناص من خلال قصيدة "مرثية لآخر نخلة" للشاعر الزبير دردوخ؟.

فالتناص باعتباره أحد المفاتيح لقراءة النص وفهمه، وعليه قد تبادر في أذهاننا أسئلة كثيرة عن هذا الموضوع نطرحها في عدة تساؤلات:

- ما الغاية من التناص الديني؟.
- كيف يمكن للمبدع أن يوظفه في نصوصه؟.
- ما الغرض منه جماليا ودلاليا؟.

لكي يكون بحثنا مبنيا على التسلسل والنظام قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، بحيث تناولنا في المقدمة لمحة عامة على التناص والتناص الديني على وجه الخصوص. مع الإشارة إلى الإشكالية التي يدور حولها هذا الموضوع المدروس، وعن سبب اختيارنا له، إضافة إلى مجموعة من التساؤلات التي كانت تتبادر في أذهاننا، والخطة المعتمدة إلى جانب المنهج المتبع.

ففي الفصل الأول النظري بدأنا بمفهوم التناص لغة واصطلاحا، ومفهوم الدين لغة واصطلاحا، ثم قمنا بالربط بين مفهوم التناص والدين تحت عنوان التناص الديني الذي ه ومحور دراستنا.أما في الفصل الثاني(التطبيق)، أردنا أن يكون دراسة تطبيقية حول توظيف التناص الديني في الشعر الجزائري، وبالتحديد في قصيدة " مرثية لآخر نخلة" من ديوان "عناقيد المحبة" للشاعر

الزبير دردوخ. مع استخراج أهم أنواع هذا التناص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إضافة إلى الشخصيات والأحداث التاريخية الدينية.

لنخلص إلى خاتمة وأهم النتائج المتوصل إليها في شكل نقاط، ليليها قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث.

واتبعنا المنهج الأسلوبي السيميائي، وعن الأهداف المرجوة من بحثنا هذا تكمن في محاولة اكتشاف معارف جديدة تنمي فكرنا وفكر القارئ.

تكمن الإشارة ونحن بصدد إنجاز هذا الموضوع إلا أننا تلقينا بعض الصعوبات منها: صعوبة تحليل نصوص شعرية حديثة يميزها الغموض واللغة الشعرية الخاصة، إضافة إلى صعوبة الحصول على معلومات خاصة في الدراسة التطبيقية، ورغم ذلك حاولنا الإستناد إلى مجموعة من المصادر والمراجع وكتب التفاسير التي ساعدتنا في شرح مختلف الألفاظ الدينية التي كانت واردة بكثرة في هذه القصيدة مثل زبدة التفسير لمحمد سليمان عبد الله الأشقر، والكريم الرحمان لعبد الرحمان ابن ناصر السعدي، إضافة إلى بعض المصادر والمراجع مثل جمال مباركي، ابراهيم مصطفى الدهون، عبد القادر يفشي، ظاهر محمد الزواهرة.

إذا ما قدر لهذا البحث أن يكون إسهاما متواضعا في طرح هذه القضية الأدبية للحوار فسوف يكون هذا أوفى جزاء على كل ما بذل فيه من جهد.

في الأخير من واجبنا الإعتراف لذوي الفضل، ولا يسعنا إلا أن نتقدم لهم بالشكر والإمتنان الكبير إلى أستاذنا الفاضل قالم جمال الذي أفادنا بتوجيهاته وملاحظاته الدقيقة جزاه الله كل الخير في الدنيا والآخرة.

الفـــصل الأول

الفـــصل الأول: التناص قضايا ومفاهيم

1) التناص كمفهوم واشكالية
2) التناص: - لغة
   - اصطلاحا
3) التناص في النقد المعاصر
4) التناص في الدراسات العربية الحديثة
5) مستويا التناص
6) تعريف الدين: - لغة
   - اصطلاحا
7) التعريف بالشاعر
8) التعريف بالديوان
9) التعريف بالامام محمد الغزالي
10) التعريف بالمرثية

تمهيد:

أصبح العمل الأدبي عامة والشعر خاصة جدير بالعناية لما يتّضح فيه من ذات الشاعر وذات أمته، ولعل من أهم المكتسبات التي انبنى عليها الشعر، واتسم بها "التناص" الذي هو مكسب جديد للشعر أضفى عليه طابع الغموض والإبهام، ولهذا فقضّية التعبير بالتناص في الشعر الجزائري المعاصر تعدّ واحدة من الإنجازات الجديدة البارزة في القصيدة المعاصرة.

حتى أّنه أصبح السّمة المشتركة بين أغلبّية الشعراء المعاصرين ولعل اهتمام الشعراء العرب بالتناص راجع لتأثرهم بالتيارات الأدبية الغربية في عمومها، وإلى قدرة هذه التناصات على استيعاب التجارب التراثية في مجال الإبداع، فتوظيف التناص في الشعر صار من المقتضيات التي يفرضها الواقع الاجتماعي والسياسي والنفسي والثقافي، فهذا الفصل يقوم بمعالجة نوع من أنواع التناص ألا وهو التناص الديني في الشعر الجزائري المعاصر، وذلك لما تحتويه ظاهرة التناص من أبعاد فنية وجمالية، ونكشف في هذا الفصل عن أشكال التناص من بين النصوص المستدعاة، لأن التناص يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقته بنصوص أخرى، وقد مارست هذه النصوص تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الأصلي في وقت معين، فدراسة التناص بأي حال من الأحوال هو دراسة للمؤثرات أو المصادر أو حتى علاقات التأثر والتأثير بين نصوص وأعمال أدبية معّينة.

وهنا قمنا بدراسة شاملة لمصطلح التناص كمفهوم وإشكالية، إضافة إلى مفهوم الدين لغة واصطلاحا ثم الربط بين التناص والدين تحت عنوان التناص الديني الذي هو موضوع بحثنا إلى جانب بعض المفاهيم التي تخص موضوع دراستنا ليتسنى للمتلقي فهم الجزء التطبيقي وربطه بالنظري.

1) التناص تعريفا ومفهوما:

إذا أردنا أن نعرف التناص وجب علينا أن نخوض في مفاهيمه "فقد تعددت المفهومات التناصية عند النقاد الغربيين، وقد حاولوا إيجاد مصطلحات تناهض ما جاءت به كرستيفا، فنجد أنّ مصطلح التناص يختلف من باحث إلى آخر انتشارًا وفهمًا، فعند بعض الباحثين ينتمي عندهم إلى الشعرية التوليدية، وعند آخرين إلى جمالية التلقي، ويتموضع عند البعض الأخر في مركزية الفرضية الإجتماعية التاريخية، في حين يمثل عند آخرين مصطلح خارجي لا يلعب إلا دورًا عارضًا"[1].

فمفهوم التنا ص مفهومًا عامًا وشاملاً ولم يبق منحصرًا في تعريفاته فقط من الناحية اللغوية والاصطلاحية، بل توسّع أيضًا ليشمل شكله ومضمونه.

«وعلى هذا فلتناص أشكال مختلفة منها ما يسمى بالتناص الخفي وآخر يسمى التناص الجلي، ولكن المشكلة تكمن في إيجاد الحدود التي تفصل بين التداخل النصي وبين السرقة الأدبية بشكل واضح، وهذه المشكلة من الإشكاليات التي تعترض طريق الباحث في مفهوم التناص، والإشكالية ليست في تحديد حدود التناص وحدود السرقات الأدبية، بل في تحديد المنهجية، فإذا كان الباحث أو الأديب واضحًا في إستخدامه للنصوص الأخرى من حيث التوثيق وحفظ حق الآخر، وعدم خلط اللغة وإعطاء الآ خر حقه، من ذِكْر إسمه ومرجعه، فإنّنا نلغي فكرة السرقة ومن طرف آخر، متى يجوز للباحث أن يصدر حكمًا ؟ وهل من السهل ذلك...؟ فإذا عرفنا أنّ اللغة ليست ملكًا لأحد و أنّ توارد الخواطر جائز، والمرجعيات أحيانًا تكون شبه موحدة، فالأمر إذن أصعب من تصورنا»[2].

1-ينظر، حسين منصور العمري، إشكالية التناص، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 31.
2 -ينظر، نفسه، ص 32.

يمكن القول أّنه من التعريفات المختلفة للتناص، فالمفهوم الغالب عليه هو التقاطع أو التفاعل بين النصوص المختلفة من أجل خلق نصوص جديدة ذات أبعاد دلالية وتعبيرية، يمكن للمتلقي إستعابيها.

فالتناص كما ذكرنا سابقًا إّما خفيًا أو جليا وفي كلتا الحالتين لابد من إثبات ما يؤكد ذلك، والخفاء هنا جاء من المعنى اللغوي للكلمة أي إخفاء التناص وعدم رؤيته أو إدراكه، إلا من خلال معرفة دقيقة للنص والنصوص المتناص معها، فهي عملية لاشعورية.

أّما الآخر (الجلي)فهو المفهوم الأول إذ يكون واعيًا فيأخذ النص ويصهره ُ بطريقته، ويعطيه روحًا جديدة من خلال توظيفه الوظيفة التي أرادها، وإذا إستطاع المبدع أن يستعمل التناص الخفي يكون قد أجاد وأبدع أكثر مما لو استخدم الآخر (الجلي)، وهكذا فإّن التناص النصيclonage ذو قبليات إنطباعية تتناهى بحياكة وحكاية الأشكال الكتابية المتناثرة، وهكذا يكون الأدب جميعه نصًا واحًا، وقد يحتاج في بعض الأحيان إلى استخدام الأخر إذا وصلت إلى مرحلة القناعة بإزاحة القداسة عن النصوص فالكلمة والنص ما هما إلا حلقة بين سابق ولاحق وتقاطع بينهما.

وفي الأخير نختم هذه الإشكالية بهذا القول:

«التناص قانون لغوي وتركيبي سائد في كل الخطابات، فآدم عليه السلام وحده هو الذي تكلم لغة جديدة، كل الجّدة، كما علّمه الله، أّما الذين جاؤوا بعده فبعضهم يأخذ عن بعض ويجتهدوا في الصياغة، في التوليف والتأليف، كي يستحدث شيئًا جديدًا من شيء أو أشياء مألوفة ومعروفة بما فيها اللغة، أو حتى الكلمات التي تعتبر بمثابة وقائع تداولية أو إيديلوجية»[1].

1 –حسين منصور العمري، المرجع السابق، ص 34.

2)مفهوم التناص:

أ-لغة: وردفي لسان العرب لابن منظور

نصص: النص رفعك الشيء، نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصًّا رفعه وكل ما أَظْهَر فقد نصَّ، وقال **عمر إبن دينار:** ما رأيت رجلاً أَنصَّ للحديث من الزهري أرفع له وأَسْنَد.

يقال نَصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، نَصَصْتُ المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، والنَّص التحريك حتى تستخرج من النّاقة أقصى سيرها، والنَّص والنَصِيصُ السّير الشديد والحث. ولهذا قيل: نَصَصْت الشيء رَفَعْتُه، ونّص الرجل نصًّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونَصَّ كل شيء: منتهاه، ونصَصَ الرجل غَرِيمه إذا استقصى عليه[1].

إذا ما تتبعنا مفهوم النص لغة: نجد أنّ صاحب اللسان يورد كلمة تناص بمعنى الإتصالوالإلتقاء، حيث يقول « هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي تتصل بها، بيد أنّ مفهومي **الإنقباض والإزدحام** يردان تحت جذر **(نصَص)**، عند صاحب تاج العروس لقول «إنتصَّ الرجل إنقبض، وتناص القوم إزدحام، ولعلّ المعنى الأخير من التعريف السابق يؤكد فكرة إزدحامهما في نص ما، فقد جاء عند مؤلفي معجم الوسيط تناص القوم، إزدحموا وإدخال أنّ التناص في الوسيط لا يعني الدلالة التي يمنحها لها الإستعمال النقدي الحديث إلا بالتأويل والتلميح والتخريج المتمحل المتكلّف، لذا فالأرجح أنّها دخلت معجم الوسيط عن طريق الترجمة تأثّرا بالثقافات الأخرى والتقارب معها »[2].

1-ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص 271.

2-إبراهيم مصطفى محمّد الدهون، التناص في شعر أبي علاء المعري، عالم الكتب، 2001، ص 09.

ب- إصطلاحًا:

أحدث مصطلح التناص (intertestaulity) في النقد العربي الحديث حراكا واسع، وشغل الحداثيين جميعًا، وأثار بينهم جدلاً نقديًا كان مؤداه اختلاف النقاد العرب في إيجاد صيغة لفظية او ترجمة موحدة، فأحيانًا يترجم إلى "تناص" وأحيانًا أخرى يترجم إلى "بينصبية" وفضلاً عن ذلك نقرأ مسميات شتى وترجمات عديدة للتناص.

أما مصطلح التناص فهو ترجمة للمصطلح الفرنسي (intertexte) ولهذا تاتي كلمة (inter) في الفرنسية التبادل بينما تشير كلمة (text) إلى النص في الثقافة الغربية التي من أصل لا تيني (textus) وتعني "النسيج" أو "حبك".[1]

ويصبح معنى (intertexte) التبادل النصي الذي ترجمه بعض النقاد العرب بمصطلح التناص عند سعيد علوش في كتابه الموسوم ب(معجم المصطلحات الأدبية والنقدية) فإنّه يشكل مصدرًا أساسيًا لإبراز المعنى الرئيسي للتناص والذي يتسق إتساقًا كبيرًا مع توليف: (تحليل الخطاب الشعري؛ استراتيجية التناص لمحمد مفتاح) فإنّهما يشيران لمصطلح التناصبدءًامن جوليا كرستيفاوإنتهاءًابرولانبارث، خارجين بالاستنتاجين الأتيين:

1=يعدّ التناص عند (كريستيفا) مزيّة أساسية للنص تجبل على نصوص أخرى سابقة عليه.

2=يعلن فوكو بأنّه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرًا آخر، فلابد أن تتوفر أحداث متسلسلة متتابعة تتصل معًا[2].

فالتناص إذن عملية إستيعابية وإحتوائية للنصوص السابقة، والنص المتناص يحمل بعض صفات الأصول، لاسّيما المؤثرة والفعّالة.

1-ابراهيم مصطفي محمد الدهون، المرجع السابق، ص 9.

2-محمد مفتاح، تحليل الخطاء الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1985، ص121.

ويتّضح مما سبق، أنّ التناص هو أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا أو معارف أخرى سابقة عليه، بحيث تندمج النصوص السابقة مع النص الأصلي مشكلة نصًّا جديدًا موحدًا ومتكاملاً[1].

ومن كل هذه التعريفات السابقة نستخلص أنّ التناص ظاهرة لغوية معقدة يصعب تحليلها وفهمها لأنّها تعتمد على ثقافة المتلقي الواسعة حتى يتمكن القارئ من إستخلاصه.

إذا كان التناص يقيم علاقة بين نصوص سابقة، ونص حاضر أو هو التعالق أو إشتباك نصوص مع نص، فإنه يحدث بكيفيات متعددة.

أ-**التناص الداخلي**: يعتمد على (توالد) النص و(تناسله)، من خلال العبارات المفتاحية، أو الجمل المحورية والتأثر بها بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة من خلال:

- ❖ التضمين
- ❖ الاقتباس
- ❖ الاستشهاد
- ❖ الاحتذاء
- ❖ المعارضة

أي أنّ إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية[2].

حينما يدخل نص الكاتب في تفاعل مع نصوص غيره، سواء كانت هذه النصوص أدبية أو غير أدبية.

1-ابراهيم مصطفى محمد الدهون، المرجع السابق، ص 11.

2-نعمان عبد السميع متولى، التناص اللغوي نشأته وأصوله وأنواعه، العلم والإيمان لنشر والتوزيع، (د ب)، 2014، ص 24.

ب-التناص الخارجي: وهو حينما يتفاعل نصوص الكاتب مع غيره، التي ظهرت في عصور بعيدة عن عصره.

يعتمد على الحوار بين نص ونصوص اخرى متعددة المصادر والوظائف، والمستويات، يأخذ الشاعر فكرة، أو عدة أفكار او مضامين معينة مما يقع تحت يديه من نصوص.

وقد أدى ظهور المصطلح إلى وجود إختلاف بين المترجمين العرب المعاصرين فيما بينهم حول تعريب مصطلح التناص.

وظهرت له المسميات التالية:

تداخل النصوص، التناصية، النصوصية، التناص، وهذا المصطلح الأخير هو الذي شاع في الحقل البلاغي وصار يطلق على نص فيه تضمين أو تلميح أو إشارة أو إقتباس...الخ[1].

3) التناص في النقد المعاصر:

«التناص في مفهومه الحديث مصطلح نقدي، وآداه مرجعية تقوم على أبعاد فكرية وإيديولوجية يشير بها المبدع، وينطلق منها في إنتاج أعماله الفنية، ولقد إستخدم النقاد المعاصرون مصطلح "التناص" كآداة إجرائية لنقد النصوص، حين أصبحوا يتناولون النصوص الأدبية على أساس أّنها نشاط ثقافي وجمالي في آن واحد، وهذا التناول تولّد عن قيام الحداثة الشعرية على أبعاد معرفية وثقافية واسعة، ويمتزج فيها الشعبي بالأكاديمي، والمعارف الأسطورية بالعلمية والتاريخية بالدينية، والفلسفة بالإيديولوجية، ممّا حمل متن النص الشعري المعاصر بعدًا معرفيًا متراكمًا لم يتح لشعرنا العربي القديم، ذلك لأنّ الإنتاجية الشعرية المعاصرة تمثل عملية إستعادة لمجموعات من النصوص القديمة»[2].

1-نعمان عبد السميع متولي، المرجع السابق، ص 25.

2-أحمد جبر شعث، جماليات التناص، دار محدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص 62.

ومن هنا نتوصل إلى أنّ التناص مصطلح حديث يقوم على أبعاد فكرية وإيديولوجية ينطلق منها أي مبدع في أعماله وأن أيّ عمل لا ينطلق من العدم بل بالرجوع إلى الأسس والقواعد المتنوعة التي يرتكز عليها وعلى هذا تولّدت الحداثة الشعرية التي تقوم على موضوعات جديد وحديثة لإحياء أشياء قديمة.

«فالتناص وإن كان يراهن في إشتغاله النقدي على إعادة بناء النص إعتمادًا على نصوص سابقة التي يتفاعل معها فإنّ حقيقته تكمن في وظائفه النقدية وآلياته المختلفة التي قد تسعف الدارس في التمييز بين النصوص المتفاعلة والمتجاورة»[1].

«وتأسيسًا على ذلك فمن الوظائف الأساسية التي يؤديها مفهوم التناص في النظرية النقدية الحديثة هي الوظيفة التحويلية والدلالية، إذ أنّ الأمر لا يتعلق بإعادة إنتاج المادة المقتبسة بحالتها القائمة الأولى، ولكن بتحويلها ونقلها وتبديلها، ويجد هذا مستنده في بعض الدراسات النقدية الغربية، وتعتبر (جوليا كرستيفا) من الأوائل الذين أخذوا بمبدأ التحويل بوصفه آلية من آليات النقدية الأساسية التي يقوم عليها التناص، ولعلّ هذا ما جعل الباحثة في تعريفها للنص الأدبي لا تقف عند حدود القول: إنّه عبارة عن لوحة فسيفسائية؛ بل أضافت أنّ كل نص هو إمتصاص وتحويل وإثبات ونفي لنصوص أخرى»[2].

تعتبر الوظيفة التحويلية والدلالية، من الوظائف البارزة التي توصل إليها مصطلح التناص، أي تلك التحولات والتداخلات التي تحصل في مضمون النص الأدبي، من خلال توظيف مختلف الإقتباسات التي تؤدي نفس الدلالة، ونجد أن "جوليا كرستيفا" هي الجديرة بهذا المبدأ.

1-عبد القادر يفشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، مطابع إفريقيا الشرق، (د ب)، 2007، ص 23.
2-نفسه، ص 24.

4) مستويات التناص:

نقف هنا عند علم من أعلام النقد المعاصر وهي "جوليا كرستيفا" التي تعتبر صاحبة التحديد المنهجي لمستويات التعامل مع النص الغائب، التي تساعد على ضبط القراءة الصحيحة، ومن ثمة تجّنبنا من إهمال العمليات المعقدة التي تكمن وراء نسيج النص، وقد ميزتها في ثلاثة أشكال من النفي وهي:

أ- النفي الكلي:

وفيه يكون المقطع الدخيل منفيا كليا، ومعنى النص المرجعي مقلوبا، وهنا لابد من الإشارة إلى كفاءة القارئ المبدع والقدرة الهائلة على فك رموز الرسالة، قصد إعادتها إلى منبعها الأصلي، وتوضح لنا كرستيفا مثالا عن قول "باسكال".

«وأنا أكتب خواطري تنفلت منّي أحيانا، إلاّ أن هذا يذكرني بضعفي الذي أسهو عنه طوال الوقت، والشيء الذي يلقنني درسا بالقدر... يلقنني إياه ضعفي المنسي ذلك أّنني لا أتوق سوى إلى معرفة عدمي»، وهذا النص يقوم بمحاوزته "لوتر يامون" ويقلب دلالته بطريقة تنفي النص الأصلي الذي يبدوا متسترا خفيا داخل خطابه، يقول "لوتريامون" حيث أكتب خواطري إنها لا تتفلت منّي، هذا الفعل يذكرني بمقولتي التي أسمو عنها طوال الوقت فأنا أتعلم بمقدار ما يحييه فكري المقيد ولا أتوق إلاّ لمعرفة تناقض روحي مع العدم»[1].

ب- النفي المتوازي:

وفيه يظلّ المعنى المنطقي للبنية النصية الموظفة هو نفسه للبنية النصية الغائبة، بالإضافة إلى التشكيل الخارجي، إلاّ أن هذا لا يمنعه من أن يمنح الأخذ للنص المرجعي معنى جديدا، كما أن هذا النمط يعتمد على توظيف النصوص الغائبة بطريقة قريبة لمصطلحي: التضمين والاقتباس،

1-جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص156.

المعروفين في الدراسات البلاغية العربية القديمة، وتضرب كرستيفا لذلك مثالا من مقطع نصي "الأشفوكو" يقول فيه:

- "إنه لدليل على وهن الصداقة، وعدم الانتباه لإطغاء صداقة أصدقائنا" هذا المقطع يكاد نفسه يكون عند لوتريامون في قوله:
- إنه لدليل على وهن الصداقة عدم الإنتباه لتنامي صداقة أصدقائنا"[1].

ج- النفي الجزئي:

«وفيه يأخذ الكاتب أو الشاعر بنية جزئية من النص الأصلي ويوظفها داخل خطابه مع نفي بعض الأجزاء منه، وتوضح لنا "كرستيفا" بمثال أيضا من قول "باسكال" حين نضيع حياتنا ببهجة، الهم أن لا نتحدث عن ذلك قط»[2].

5) التناص في الدراسات النقدية العربية الحديثة:

ومن أوائل الدراسات النقدية التي أدخلت مصطلح "التناص" إلى النقد العربي الحديث واستخدمته في المجال التطبيقي، دراسة "فريال جبور عزول" التي خصصتها لتحليل قصيدة "محمد عفيفي مطر" قراءة، إذ كانت تقول في التناص إنه تضمين نص لنص آخر، واستدعاؤه وفيه يتبع تفاعل خلاّق بين النص المستحضر بكسر الضاد، والمستحضر بفتح الضاد[3].

1-جمال مباركي، المرجع السابق، ص156.

2-نفسه، ص156.

3-زهرة خالص، التناص التراثي في حديث أبو هريرة قال ....لمحمود المسعدي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 37.

أّما محمد مفتاح فقد قدم دراسة دقيقة ومفصلة من ناحيتين التنظير والتطبيق لمصطلح "التناص" لأنه ناقش عدد من النقاط التي تتعلق بهذا المصطلح فعّرفه بأّنه «تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة »[1].

ويرى أن الظاهرة التناصية شيء لا مناص منه لأنه لافكاك للإنسان من شروط الزمانية والمكانية، ومحتوياتهما، ومن ذاكرته فأساس إنتاج أي نص هو معرفة مصاحبة للعالم.

والتناص عند مفتاح شكلان:

1=المحاكاة الساخرة –النقيضة التي يحاول كثير من النقاد أن يختزلوا التناص إليها.

2=المحاكاة الإنتقادية– المعارضة التي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها الركيزة الأساسية للتناص.

وأشار إلى ما أسماه ب "آليات التناص" التي تتخذ أشكالاً عدة، وألح على ثقافة المتلقي لأن التناص عنده ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين حيث يعتمد في تميزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته[2].

أّما مرتاض فأشار إلى أنّ التناصية شرطًا لقيام كل نص، وهي تلازم المبدع مهما كان شأنه، فلابد لأي نص أي كان نوعه، أن يعتمد على نص سابق يحاوره ويقيم معه علاقة.

فالمبدع لا يستطيع أن يبدع نصًا، إلا باعتماده على ما يستقّر في وعيه وما حفظته ذاكرته من نصوص سابقة ومن مخزون ثقافي[3].

1–محمد مفتاح، المرجع السابق، ص 38.

2–نفسه، ص 38.

3–عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 201، كانون الثاني، 1988، ص 55.

«تتخذ العلاقة النصية عند مرتاض احد الشكلين إما أن تكون مرئية مباشرة، أو غير مرئية وغير مباشرة، ومعظم تلك العلاقات التناصية هي من النوع الثاني، واعتبر المصطلحات التالية – التناص– السرقات الأدبية –المعارضة– الإقتباس عبارة عن شكلاً واحدًا من الأشكال ذات العلاقات التناصية، ولكن بتسميات متعددة، والتناص عنده في أبسط صورة « هو تحاور طائفة من النصوص وتظافرها لإنشاء نص جديد على أنقاضها»»[1].

وبناء على هذا فإن كل نص هو تفاعل لنصوص أخرى، والتناص هو ان يجعل نصوص عديدة تلتقي في نص واحد فتتصارع، ويبطل أحدهما مفعول الآخر، وتتلاحم إذ ينجح النص لاستعابه لنصوص أخرى وتدميرها في ذاك الوقت، إنه إثبات ونفي وتركيب، والتناص ليس سرقة، وإنما هو قراءة جديدة أي كتابة ثانية ليس لها علاقة مع المعنى الأول نفسه.

«وإذا كان الإختلاف في تعريف النص ذاته، الذي تعددت تعاريفه بتعدد التوجهات المعرفية والنظرية، والمنهجية المختلفة التي تتراوح من البنيوية إلى علم الإجتماع الأدبي، إلى النفسية والدلالية، إلى تحليل الخطاب حيث نجد أن كل ميدان يؤسس لزاوية خاصة ينظر منها إلى التناص»[2].

وعليه فإن الأديب لا يمكن أن ينفصل في تكوينه المعرفي عن غيره بل هو عبارة عن خلفية معرفية، تنمو في محيط معرفي متشابك ولذلك أصبح الأديب، ومن بعده النص الأدبي بناء متعدد القيم والأصوات.

6) مفهوم الدين:إختلفت وتعددت مفاهيم الدين في المعاجم والقواميس ومن بينها لسان العرب.

1–زهرة خالص، المرجع السابق، ص 38.

2–نفسه، ص 39.

أ)لغة: ورد في لسان العرب لأبن منظور الدين هو الإسلام وقد دنت به، والدين العادة والشأن، لقول العرب: مزال ذلك ديني وَدَيْنِي أي عادتي، وفي الحديث النبوي الشريف {محبة العلماء دَيْنٌ دَانُ به قال: المثقب العبدي يذكر ناقته

إذا درأت لها وضيني أهذا دأبه أبدًا ودِيني[1].

كّما ورد في كتاب الخليل أن الدين جمعه أديان، والّدين: الجزاء لما يجمع لأنه مصدر كقولك دّان الله العباد يدينهم يوم القيامة، أي يجزيهم وهو ديان العباد.

والدين: الطاعة، ودانو الفلان، أي أطاعوه وفي المثل كما تَدِينُ تدان أي كما تأتي يؤتى إليك[2].

ربط إبن منظور المفهوم اللغوي لدين الإسلام وهو الشائع ولكن مدلول هذه اللفظة تعنى العادة، أّما الخليل فأعطى معنى مغايرًا لها وهو الطاعة وهنا نستنتج أن هناك تباين في ضبط المصطلح اللغوي له .

ب)اصطلاحًا: أّما فيما يخص الجانب الاصطلاحي للدين فقد تنوعت المفاهيم وتعددت بتعدد زوايا النظر إلى مفهومه ونجد أن المفهوم الاصطلاحي الدين هو ما شرعه الله لعباده من أحكام[3].

ومنه يمكن تحديد مفهوم الدين اصطلاحيا بأنه كل ما جاء به القرآن الكريم والحديث الشريف ولا يمكن حصره في الدين الإسلامي فقد بل كل مصادر التشريع (التورات، الإنجيل، الزبور).

6) التناص الديني:

هو تداخل نصوص مع نصوص دينية معينة عن طريق الإقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف.

1-إبن منظور، لسان العرب، م5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص 159.

2-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج2، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 61.

3-www.Fatawa.islam.web, 10 avril 2013, 15 :00.

«استدعى التناص الديني طبيعة التجربة الوجودية للأمة، في هذه المرحلة الصعبة المأساوية بمعانيها وصورها، وتتضمن لغة الشاعر رؤية فكرية وفلسفية التي أراد الشاعر أن يمنحها عمقًا وشمولية ويشحنها بالدلالات من أجل التأثير في المتلقي نظرًا لما تتمتع به اللغة الدينية من حضور وتأثير في الوعي الجماعي، فضلاً عمّا يمكن أن تقوم به من إثراء النص الشعري»[1].

«فاللفظة القرآنية تتميز بالدقة في الوصف والتعبير، مما تسمح للمستمع من تخيل الموقف واستحضار المشهد وكأنّه جزء منه، أو يعايش الشيء الموصوف كما تمتاز باتساع دلالتها لها لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى، وهذا من شأنه أن يفتح المجال للتأويل والأستنباط، دون ترك المجال لأي غموض أو تناقض في الاستعمال، وتتمتع أيضا بجمال جرسها الذي يترك أثرا جميلاً في الأذن، وبالتالي تنساب في الوجدان والقلب، فتتبعث في مخيلة القارئ صورة المعنى محسوسًا مجسمًا دون الحاجة إلى الرجوع إلى معاجم اللغة»[2].

ومن هنا نلاحظ أن التناص الديني في مجمله، هو توظيف الشعراء والسور القرآنية، والأحاديث النبوية، وقصص الأنبياء، والأماكن ذات الدلالة الدينية في شكل رموز نستوحي من خلالها عدة معاني، وعليه فالتناص الديني هو توظيف شيء محسوس في شيء ملموس نستطيع أن ندركه بحواسنا أي أنّ التناص عند توظيفه في الشعر يكون محسوسًا، فمثلا السّلام شيء محسوس: يرمز له بغصن الزيتون، ومن توظيف الشخصيات الأقدمين "قابيل وهابيل" و"المسيح الدّجال" وأهل الكهف ولكي تتمكن من تبيين مواضيع الإقتباس جيّدًا عند شاعرنا الزبير دردوخ، لإبراز جوانب التأثر بلغة القرآن، ونظرًا لكثرة تعامله معه تلاوةً ودراسة وتدبّرا، فقد ترسّبت في ذاكرته ألفاظ قرآنية كثيرة، فدارت في شعره وارتبطت بحياته من حيث التعبير عن مكنوناته،

1-حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نمودجًا، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، 2009، ص 38.

2-بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، ط4، بيروت، 1980، ص 181.

والإفصاح عن مشاعره،إنّها ألفاظ قرآنية ونزل القرآن بلسان عربي مبين، أي أنّ ألفاظه هي كلمات عربية لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] سورة يوسف الآية 02، إلاّ أنّ السياق الذي وردت فيه والمعنى الذي أعطي لها من بين المعاني الكثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد اقتبسها الشاعر، وأوردها في شعره مع المحافظة على أصالتها، لما عُرِفَ عن الشاعر من ارتباط بالقرآن الكريم إرتباطًا وثيقًا، ومنه نخلص أن التناص الديني لعب دورًا مهمًا في الشعر الجزائري المعاصر وتتجسد وظيفته في مظهرين هما:

أ-جعل النصوص الشعرية ذات سلطة تأثيرية قوية.

ب-جعل النصوص الشعرية تزخر بجوانب إنسانية وقيم أخلاقية

مثال عن التناص الديني:

قول عز الدين المناصرة في تناص من القرآن الكريم "سورة الناس"

سأرتب عاداتي في هذا البرد الموحش

وتكون الصحراء ملاذا

حين ووسواس خناس

يصور الشاعر في هذه الأسطر وحشة الانسان الفلسطيني ووحدته في عالم رفضته العواصم وأشاحت في وجه "وسواس خناس" عن لقائه والترحيب به فبقي وحيدًا يكابد آلام الغربة عن الوطن.

7) التناص القرآني:

« يعد القرآن الكريم رافدًا مهمًا للشعر العربي المعاصر، فقد نزعت فئة من الشعراء المعاصرين إلى ان تقتبس من القرآن صياغات جديدة لم يعرفها الشعراء من قبل، ومشكلة التعبير هي التي تحمل الشاعر المبدع عن التفتيش على عبارات جديدة ولغة جديدة غير مستهلكة تستطيع

1-سورة يوسف الآية: 2.

أن تنقل أكبر قدر ممكن من المعاناة والأحاسيس، وهي تدفع الشعراء إلى خلق رموز جديدة وبعث أساطير قديمة، واقتحام أرض مجهولة، واستعارة لغة دينية وآيات قرآنية، وتضمين معاني الوحي بلغة تحاكيه، وصياغة تؤاخيه، وإن لم تبلغ شأنه، ويكاد لا يخلو خطاب شعري من استدعائه وامتصاصه»[1].

نلاحظ أنّ ظاهرة التناص القرآني هي ظاهرة نقدية جديدة ظهر بظهور شعراء معاصرين، الذّين وجدوا فيه مادة يستلهمون منه معاني ودلالات إيحائية مختلفة، ويوظفونها توظيفاً فنيًّا عن طريق الإمتصاص من آيات الذّكر الحكيم.

القرآن الكريم معجزة الدهور، يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر، يصّور تقلبات القلوب، وخلجات النفوس، فهو النص المقدس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعابير، التي إبتدعها العربي شعرًا ونثرًا ليخلق تشكيلاً فنيًا خاصًا متناسقة المقاطع، تطمئن له الأسماع والأفئدة في سهولة ويسرٍ، ولقد أعطى القرآن الكريم الحرية في التأمل الجمالي والكتابة ودعا إلى الإغتراف من منهله العذب[2].

يتميز التناص القرآني بالثّراء والإتساع الذي وجد فيه الشاعر كلّ ما يحتاجه من رموز تعّبر عما يريد الإفصاح عنه من غير حاجة إلى الشرح والتفسير، وهذا ما أّدى إلى حضور النص القرآني بقوة في الشعر العربي المعاصر، والأحد على منهله في الأسلوب واللغة.

8) الأثر القرآني في الشعر المعاصر:

تعتبر الأديان السماوية رافدًا مهمًا وبارزًا من روافد التجربة الشعرية لدى الشعراء العرب، ولقد عاد الشعراء لهذه الكتب ينهلون من آياتها القدسية كما ينهلون من الشخصيات القرآنية على

1-حصة البادي، المرجع السابق، ص 41.

2-جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2003، ص 167.

إختلاف نماذجها النبوية والدينية او غير الدينية، وهذه العودة إلى القرآن جعلتهم يفجرون طاقات دلالية إبداعية جديدة، وهو ما عزّز لديهم بناء رؤية شعرية جديدة، وكان التفاعل مع هذه الكتب على درجة أعلى وأعمق من مجرد إقتباس آية او نص مقدس على سبيل الاستشهاد أو التعزيز، بل كان قائمًا على بناء نصوص جديدة[1].

نجد أنّ الأمر المهم في عملية التناص هو قراءة النصوص بتمعّن وهذه القراءة للنصوص وإستيعابها، كان هو الهدف الأساسي الذي يسعى إليه الشعراء والبحث عن القيمة الجمالية التي تمنحها الآيات القرآنية للنصوص الشعرية وقراءتها بعمق وتدبّر حتى تبقى خالدة في الأذهان وليست مجرد تعابير وكلمات تفيد الدلالة فقط.

ومهما يكن فإنّ العلاقة التي تجمع الشعر والدين هي علاقة متبادلة وممتدة ونجد الأثر واضح منذ أن شجّع الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت للرد على القرشيين ومن هنا يمكن القول إنّ الشعر بمكانته العالية والقوية خدم الدين في أوقات مختلفة، ومتعددة عبر العصور، وفي مواكبه الظروف التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية ف(الشعر بماله من مكانة قوية إستطاع أن يخدم الدين في ظروف كثيرة، ويمكن له أن ينشر أهدافه...، كما إستطاع الدين أن يمدّ الشعر بموضوعات جليلة وأن يلونه في كثير من الأحيان بألوان دينية مختلفة)[2].

إنّ أثر الدين واضح في الشعر، خاصة انّ القرآن الكريم كتاب هذا الدين على درجة عظيمة من البلاغة والبيان، والشيء الذي لا يمكن إخفاؤه أن الشعر خدم الدين الإسلامي، باعتباره أقرب لغة أتقنها العربي منذ الأزل كما لا يخفى على أحد تعدد موضوعاته التي تصب في خدمة الرسالة المحمدية من أخلاق وفضيلة.

1-ظاهر محمد الزواهرة، التناص في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد للنشر والتوزيع، (د ب)، 2013، ص 83.

2-ظاهر محمد الزواهرة، المرجع السابق، ص 87.

9) التناص الحديثي:

وكما عكف الشعراء على النصوص القرآنية ينهلون منها مادتهم التناصية التي تغني رؤاهم النصية، فإنّ الحديث الشريف، كما عرفه علماؤه بأنه كل قول أو فعل أو تقرير صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان أحد المشارب التناصية التي رفد منها الشعراء العرب في عصورهم المختلفة وإن كانت في البداية تظهر ظهورًا مباشرًا هدفه النصح والإرشاد أو أخذ العبرة لكنها بعد حين صارت متداخلة بالنص الشعري تداخل السدى واللحمة، حتى يصعب فصلهما كما يصعب تبيينها، وخاصة عند غياب الإحالة أو التنصيص[1].

فيأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث إشراق العبارة وفصاحة اللفظة، وبلاغة القول ومن أبرز سيمات بلاغته "الإيجاز" قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: « بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالّرعب».

ولقد أدرك شعراؤنا المعاصرون أهمية الحديث النبوي فنيًّا وفكريًا، فراحوا يستحضرونه في نصوصهم وينهلون من معينهم، ويعيدون كتابته وفق ما يتماشى مع تجربة كل شاعر منهم، وهذا الاستمداد من الذاكرة الحديثية أفصح عنه شعراؤنا صراحة في نصوصهم.

إنّ تناص الحديث في الشعر الجزائري المعاصر، يتولد من إعجاب شعرائنا بشخصية الرسول –صلي الله عليه وسلم– وبرسالته الإسلامية السمحة، لذلك نجد منهم من يوظف شخصية الرسول–صلى الله عليه وسلم– أو يستحضر الحديث النبوي وينشره على جزء كبير من النص[2].

1–حصة البادي، المرجع السابق، ص 47.

2–جمال مباركي، المرجع السابق، ص 199.

10) التناص مع الشخصيات الدينية:

لم تعد النصوص هي المرجعية الوحيدة للنص على الرغم من أن النص في الغالب، يتولد من نصوص أخرى، وتعد الشخصيات التراثية من أدوات إستجلاء الإبداع، والإستعانة به للدخول في عوالم إبداعية للحصول على معان جديدة عن طريق إستعادتها وتحويلها أو تحميلها تجربة معاصرة تضاف إلى تجربتها التي عرفت بها تاريخيا، فتصبح الماضي الحاضر أو الحاضر الماضي المتماثل أو المتخالف...فتتولد عن ذلك شخصية مركبة الصفات والأحاسيس، تمثل حركات النص ودقائقه وقد يترتب عن ذلك توسيع مفهوم التناص.

وقد يتناص الشاعر مع الشخصيات التراثية ليعبر بها عن هزائم الواقع وإنكساراته، وتناقضاته، وحافزًا هامًا جعله يعود إلى الماضي ينقّب فيه وفي تاريخه بحثا عن الشخصيات الصالحة للتعبير عن الحاضر وتعرية وكشف زيفه...حتى تكون محركًا للمجتمع والمتلقي، ليرفضها أو يقتنع بها بغية إعادة هذا المثل أو مغايرتها[1].

تعد استحضار الشخصيات الدينية من أهم ما يرتكز عليه الشاعر المعاصر لما في هذه الأحداث والشخصيات من عمق المعنى وقوته لذا فالشعراء يستدعون الشخصيات التراثية لأنها تتلاءم مع مقدرتهم الفنية والإبداعية ووجد في النص القديم صوتا مماثلاً لصوته.

ا- التعريف بالشاعر " الزبير دردوخ":

هو الزبير بن عبد الرحمن بن عمار بن أبي القاسم دردوخ من قبيلة أولاد علي الأمازيغية الشاوية، شاعر وكاتب صحفي، وأستاذ جامعي، ولد في 6 جوان 1965، بقرية الطرافشي بلدية القصبان غرب ولاية باتنة. عضو اتحاد الكتاب العرب، عض واتحاد الكتاب الجزائريين، شارك في عشرات الملتقيات الوطنية والعربية، داخل وجارج الوطن، انتشرت أشعاره في مختلف الدوريات

1-عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي في الشعر العربي، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2011، ص152.151.

والمجلات العربية والألمانية، صدرت في كتاب خاص باللغة الألمانية حفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ عبد الحميد الذي كان معلما للقرآن الكريم بكتاب قريته، ثم التحق بالتعليم بولاية باتنة، التحق بكلية الآداب بعد حصوله على البكالوريا بجامعة الجزائر، تحصل عي ليسانس عام 1991، ثم الماجستير في الأدب العربي، ثم انتقل بالتعليم والصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية.

حصل على تكريم خاص من وزارة الثقافة، بمناسبة حصوله على الجائزة الأولى لمؤسسة البابطين لمسابقة الشهيد محمد الدرة والانتفاضة، تحصل على 12 جائزة وطنية ومغاربية من بينها: الجائزة الأولى عربيا لمؤسسة سعود البابطين عام 2001 بالكويت . الجائزة الأولى لمحطة أم. بي. سي لعام 1995 بلبنان.

للشاعر عدة دواوين طبع منها مجموعة شعرية بعنوان " عناقيد المحبة"، له ثلاثة مجموعات شعرية مخطوط.

-كتابات في أدب الطفل .

-كتابات في الثقافة.

-كتابات في النقد الأدبي.

- حكم وأمثال المتنبي.

- كتابات في أدب الرحلات[1].

II- التعريف بديوان " عناقيد المحبة" :

هو مجموعة من القصائد الشعرية، التي تتميز اتساق العبارة وتلاحم الأبيات، وتعدد الموضوعات.

(1) ينظر: الزبير دردوخ، عناقيد المحبة، دار هومه، الجزائر، (د،ت)، ص ص 110-111-112.

وقد امتزج فيه القديم مع الجديد محاولا جعل كل منهما متكامل، وهو شيء حسب رأي الشاعر لابد منه، فأشعاره ذات طابع ديني وتاريخي مبني على إحساس نابع من القلب ووجدانية الذات وكل موضوعات القصائد مستمدة من الواقع.

كتب الشاعر على منوال شعر التفعيلة، أو ما يسمى بالشعر الحر، التي صاغها على شكل القصيدة النثرية، فقصائده عايشها. تميز الشاعر في ديوانه هذا بالأمانة فه ولم يقم بالسرقة الأدبية مثلما فعل معظم الشعراء المعاصرين، وهذا ما جعل أسلوبه متفرد يقوم على الابتكار والتناص والاقتباس من القرآن الكريم والتاريخ، عن طريق توظيف كلمات ومفردات دينية وتاريخية.

أما فيما يخص الأحداث فقد جاءت مرتبطة بمناسبات مختلفة وهذا ما نلاحظه في جل قصائده من ديوان عناقيد المحبة التي جاءت عبارة عن مجموع عناقيد وكل عنقود يتفرع إلى مجموع قصائد شعرية وهي :

أ-**عنقود الشعر:** ويظم ثلاثة قصائد وهي :

هواية-زفرة-سكرائها.

ب-**عنقود القلب:** ويظم تسعة قصائد نثرية وهي :

يطول الحديث، لسحر عينيك، أنشودة الروح، معراج نح ومعبد الحنين، هي .... والسندباد، في المحطة، نشرة الأحوال القلبية، عروس البحار، توبة.

ج-**عنقود الوطن:** يظم ثلاثة قصائد وهي :

أوراس البطولات، عيد الكرامة، عابر السبيل.

د-**عنقود إفريقيا:** يحتوي على قصيدتين وهي

إفريقيا، رسالة إلى مواطن إفريقيا.

هـ-**عنقود الأمة:** وه وآخر عنقود يضم سبع قصائد وهي :

ولاء، من الصبح يوقده، درة الشهداء، القدس لنا، سليمان خاطر، ردة ولا أبا بكر، مرثية لآخر نخلة.

كما يحتوي الديوان على ملخص لسيرة الشاعر الزبير دردوخ ومؤلفاته يليه في الأخير الفهرس الذي ضم كل ما في الديوان من عناقيد وقصائد شعرية كتب الزبير دردوخ ديوانه هذا في 10 فيفري 2003 ، ونشر من قبل اتحاد كتاب الجزائريين بإشراف عز الدين ميهوبي ،وهي الطبعة الأولى[1].

- **التعريف بالإمام " محمد الغزالي" :**

ولد في 22 سبتمبر 1917 بمحافظة البحيرة بمصر، من دعاة مصر وعلماء الأزهر المعروفين، واحدا من دعاة الإسلام العظماء، ومن كبار رجال الإصلاح اجتمع له ما لم يجتمع إلا لقليل من النابهين، فهو مؤمن صادق الإيمان، مجاهد في ميدان الدعوة، ملك الإسلام حياته، فعاش له ونذر حياته كلها لخدمته. وسخر قلمه وفكره في بيان مقاصده، وشرح مبادئه، والودود عن حماه والدفاع عنه ضد خصومه، لم يدع وسيلة تمكنه من بلوغ هدفه إلا سلكها فاستعان بالكتاب والصحيفة والإذاعة والتلفاز في تبليغ ما يريد. والغزالي رجل إصلاح عالم بأدواء المجتمع الإسلامي في شتى ربوعه، أوقف حياته على كشف العلل، ومحاربة البدع وأوجه الفساد في لغة واضحة لا غموض فيها ولا التواء، يجهر بما يعتقد أنه صواب دون أن يلتفت إلى سخط الحكام أ وغضب المحكومين يحركه إيمانا راسخا، وشجاعة مطبوعة ونفس مؤمنة، انتقل الشيخ إلى

(1) ينظر: الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص ص 3،4،5.

الجزائر ليعمل رئيسا للمجلس العلمي بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة، ولم يقتصر أثر جهده على تطوير الجامعة وزيادة عدد كلياتها، ووضع المناهج العلمية والتقاليد الجامعية، بل امتد ليشمل الجزائر كلها، حيث كان له حديث أسبوعي مساء كل يوم اثنين يبثه التلفاز ويترفه الجزائريون لما يجدون فيه من معان جديدة، ولا شك أن جهاده هناك أكمل الجهود التي بدأها زعيما الإصلاح في الجزائر : عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ويقضى الإنصاف القول أن الشيخ كان يتلقى دعما وعونا من رئيس الدولة " الشاذلي بن جديد" الذي كان يرغب في الإصلاح قضى 07 سنوات في الجزائر ثم عاد إلى مصر وتوفي في 09 مارس 1996، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة، ترك أعمالا عدة منها: كتاباته في مجلة الإخوان المسلمين "خواطر حية" ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية 1947، الإسلام والمناهج الاشتراكية، الإسلام المفترى عليه من الشيوعيين والرأسماليين، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث عقيدة المسلم، فقه السيرة، هموم الداعية، كيف تفهم الإسلام، خلق المسلم في موكب الدعوى، والكثير من الأعمال الهامة بلغت أكثر من خمسين عملا وكان لها تأثير قوي على الأمة الإسلامية ككل. [1]

1-التعريف بالمرثية:

لغة: رثى فلان فلانا يرثيه رثيا، ومرثية إذ أبكاه بعد موته قال: فإن مدحه بعد موته قيل رثاه، يرثيه، ترثية، ورثيت الميت رثيا ورثاءا ومرثاة، ومرثية، ورثيته مدحته بعد الموت وبكيته ورثوة الميت أيضا إذ بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعرا. [2]

(1) ينظر: خالد الكحل، أعضاء الملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في التراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، المكتبة الشاملة، كتاب الكتروني ص 284.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج5 دار إحياء التراث العربي، ط3، لبنان، 1999، ص 136.

اصطلاحا: هي قصيدة قصيرة أ وأنشودة تمجيد تقال إثر موت شخص معين ففي الشعر اليوناني تعني "ايليجيا" قطعة شعرية متنوعة الموضوعات، تقوم ميزتها الأساسية على أنها تتألف من مقاطع سداسية، وخماسية التفاعل(الديستيكالريثائي)، وتحيلنا كلمة "ايجوس" إلى أغنية حزينة غالبا ما تكون مصحوبة بالموسيقى، وغالبا ما تقدم لنا نحيبا على أبطال لق والموت.

في اللاتينية أرست قصائد "كاتيل" أسس المرثية الرومانية التي تمتاز بأسلوبها القائم العويل، وبدورانها حول الحب المثالي والحنين إلى العصر الذهبي. بقي المعنى الحديث للمرثية أنها قصيدة قصيرة أ وأغنية احتفالية يثيرها موت الإنسان. [1]

فالمرثية قصيدة تتحدث عادة عن الموت وخصوصا موت صديق، ومن القصائد الرثائية المعروفة في اللغة الإنجليزية، قصيدة "توماس جراي" مرثية مكتوبة في فناء كنيسة ريفية. [2]

بناءا على هذا فالمرثية التي نخن بصدد دراستها وتحليلها للشاعر الزبير دردوخ يرثي فيها الإمام محمد الغزالي مشيدا بخصاله الحميدة وعرفانا بالجميل من أجل الوطن، هذا ما فتح للشاعر المجال للتعبير عن تضحيات هذا الإمام وحبه له، وحزنه على فقدانه.

(1) بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد محمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، 2012، ص 121.

(2) الموسوعة العربية العالمية، المعاجم (اللغوية و الحديثة و الفقهية)، ص 1751. المكتبة الشاملة.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل الى جملة من الاستنتاجات منها:

-التناص واحد من الانجازات الجديدة البارزة في الشعر الجزائري المعاصر،ولجوء أغلب الشعراء للتعامل مع هذه الظاهرة وتوظيفها في أشعارهم،حتى أنها أصبحت السمة المشتركة بينهم .

-يعتبر التناص وسيلة من وسائل التعبير الغير مباشر عن النواحي الداخلية التي تختلج في نفسية أي شاعر أو مبدع ،لذلك أبدعوا في توظيف التناص بمختلف أنواعه.

-عرف الشعر الجزائري المعاصر انتقالة قوية في استعمال التناص داخل أعمالهم،وذلك بالانتقال من التعبير بأسلوب مباشر صريح الذي دام وقت طويل منذ القديم،الى أسلوب غير مباشر يسوده الابهام والغموض،مما يؤدي إلى صعوبة في التعامل معه والكشف عنه بسهولة،خاصة بالنسبة لطلبة مبتدئين.

-تعد كل من جوليا كرستيفا ورولاند بارث من الشعراء الذين خاضو التجربة الشعرية ،فتفننوا فيها وحققوا تطورات ملحوظة على مستوى استخدام التناص.

-تفاوت توظيف التناص من مصادر مختلفة ومتنوعة بين الشعراء المعاصرين، وذلك راجع لتمايزهم وثقافة كل واحد منهم من أبرزها ما جاء من القران الكريم والحديث الشريف كما ورد في القصيدة التي نحن بصدد تحليلها.

الفصل الثاني: التناص الديني في شعر الزوبير دردوخ قصيدة مرثية لاخر نخلة أنموذجا

1) التناص مع القران الكريم

2) التناص مع الحديث النبوي الشريف

3) التناص مع الشخصيات الدينية

4) التناص مع الاحداث التاريخية

الفـــصل الثانـي

تمهيد:

يهدف هذا الفصل إلى رصد أهم التناصات الدينية التي اعتمدها الزبير دردوخ في قصيدته " مرثية لآخر نخلة" للتعبير هن تجربته الشعرية ومدى الإفادة من توظيف ذلك التناص فنيا، وبيان سعة خزينته الأدبية والدينية وعلاقته بالثقافة الإسلامية العربية .

قمنا هنا باستخراج أغلب التناصات الموجودة في القصيدة والتي كانت ممزوجة بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اللذان تمركز كل منهما بنية النصوص، وذلك أن الموروث الديني يضفي على التجارب الشعرية سرا عجيبا ورونقا وجمالا، ويضاف إلى ذلك التناص مع الشخصيات والأحداث التاريخية الدينية.

فقد جاءت هذه القصيدة زاخرة بمختلف هذه التناصات وكان توظيفها توظيفا فنيا وهذا ما يدل على ثقافة الشاعر الواسعة ومواكبته للأحداث والواقع الاجتماعي المعيشي، فاقتبس الكثير من الألفاظ من القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف وأوردها في شعره مع المحافظة على أصالتها وبنائها الفكري. وذلك ما عرف عن الشاعر بارتباطه الوثيق بالقرآن، فنجد أنه التزم في بعض الأحيان بالمعنى الذي أعطاه القرآن أ والحديث النبوي للفظة، والدلالة والدلالة التي تدل علها في الأصل، وفي البعض الآخر كان لا يتقيد بهما فلا يكون له من الاقتباس سوى الإعجاب باللفظ.

هذا ما سنعرفه من خلال دراستنا للقصيدة والتعرف على هذه العلاقات مبدينا رأينا في ذلك.

1-التناص مع القرآن الكريم:

لقد تضمنت قصيدة "مرثية لأخر نخلة" حشدا كبيرا من المفردات ذات البعد الديني استخدمها من القرآن الكريم، وهذا فيما يدل على أن الشاعر ذ وثقافة دينية واسعة، ودراية خاصة في

توظيفه لمفردات كثيرة من الذكر الحكيم، غير أنه في تعاملاته مع هذه الألفاظ سلك الشاعر مسارين هما:

– توظيف ألفاظ دينية تحمل المعنى الديني والشعري نفسه، وهذا ما يسمى بتناص اللفظ والمعنى.

– أما الثاني يتمثل في توظيف اللفظ غير المعنى أ والإشارة إلى المعنى دون اللفظ، ولأجل ذلك قمنا بعملية استقراء واستقصاء لمجمل المواقع المتضمنة لهذين النوعين، محللين أهم ما جاء في هذه القصيدة.

أ–تناص اللفظ مع المعنى:

يقول الشاعر

جوادك الحق معقود به الظفر. [1]

استمد الشاعر في هذا البيت لفظة "الحق "من القرآن الكريم في قوله تعالىَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ سورة العصر الآية 03. فمعنى الحق: هو الذي يحق القيام به والمتمثل في الإيمان بالله، والتوحيد والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه. [2]

ووردت كذلك في قوله تعالى : " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين" سورة البقرة الآية 25.

الحق: الثابت، هو المقابل للباطل. [1]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

(2) محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، دار النفائس للنشر و التوزيع، الأردن، 2013، ص 5.

هذا فيما يخص المعنى القرآني للفظة الحق، أما المعنى الوارد في القصيدة فهو الطريق أو المنهج، السبيل أي الفلاح، والنصر، وهذا الطريق الذي سار عليه الإمام" محمد الغزالي" الذي كان دائما مؤيد للحق وضد الباطل.

وعليه نستنتج أن المعنى واللفظ الوارد في القصيدة قريب من المعنى الواد في الآيتين الكريمتين.

ويقول:

– وجندك العقل والإيمان والذكر: [2]

في هذا البيت وردت لفظتين دينيتين من القرآن الكريم هما جندك، والذكر.

1–**جندك:** وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾سورة المدثر الآية 31.

–**الجنود:** يقصد بهم في هذه الآية جنود الله من الملائكة وغيرهم وهم الأعوان الذين لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى. [3]

(1) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 201.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

(3) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 575.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة الفتح الآية04.

الجنود: من الملائكة والإنس والجن والشياطين وكل شيء فيه قوة، وغير ذلك بما يقهر به أعدائه، وينتصر به رسوله بما شاء ولومن غير قتال، إضافة إلى الريح والصواعق وغير ذلك.[1]

هذا فيما يخص المفهوم القرآني وإذا ربطناه بالمفهوم الشعري للشاعر نجده يقصد به أيضا" الأعوان" ولكن تختلف هذه الأعوان عن أعوان الله المذكورة في الآيتين فعند الشاعر تدل على (العقل، الإيمان، الذكر) في تحقيق النجاح وهنا يستخدم الشاعر تناص اللفظ غير المعنى.

ووردت لفظة الذكر كذلك في القرآن الكريم في :

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ سورة الحجر الآية 09.

الذكر أي القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة وفيه يتذكر من أراد التذكر. [2]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل الآية 43-44.

الذكر: في هذه الآية يقصد به القرآن الكريم الذي فيه ذكر لما يحتاج إليه العباد، من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، أما فيما يخص قوله تعالى: " أهل الذكر" أي الكتب السابقة. [1]

---

(1) نفسه، ص 511.

(2) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 404.

وعليه يمكن ربط هذه اللفظة القرآنية بالمعنى الوارد في النص الشعري الذي كان الشاعر يدل من خلال هذه اللفظة" الذكر" أن الإمام محمد الغزالي كان من أهل الذكر المتأثرين بالقرآن الكريم، تلاوة وتدبرا وعملا به، فهذا المعنى له دلالة مباشرة أي أنه تناص مباشر من حيث اللفظ والمعنى وأن لهذا الإمام الجليل رغم فراقه للحياة إلا أنه مازال في ذكرى على ألسنة الأحياء فرغم موته إلا أنه بقي خالدا بأعماله وعلمه.

يواصل الشاعر في توظيفه لبعض الألفاظ القرآنية في أسطره الشعرية ويربط معانيها ودلالتها بما يتلاءم مع تجربته الشعرية كما ورد في السطر:

في كل قلب بما ذكرت يدكر. [2]

فالفعل "يدكر" في البيت هو لفظ إيحائي مستمد من القرآن الكريم يدل على الوعظ والاعتبار بما قدمه هذا العالم للأمة، وقد ورد في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ سورة القمر الآية 15

- **مدكر**: تدل هذه اللفظة على السؤال : هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ومعتبر بها.

كما جاءت في موضع آخر **لقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ سورة القمر الآية 17.

فهل من مدكر: أي متعظ بمواضعه ومعتبر بعبره، وفي الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته، والمسارعة في تعلمه. [3]

(1) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 404.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

(3) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 529.

لقد استطاع الشاعر أن يربط موقفه النفسي من خلال لفظة "يدكر" بالعديد من الألفاظ القرآنية –كما ذكرنا في الآيتين–لاشتراكهما في حالة واحدة والتي هي قائمة على الوعظ والاعتبار فهذا الاقتباس قائم على اللفظ والمعنى الواحد.

ويقول الشاعر

عصرت من داليات النور خمرتنا.

فالساكرون بغير الله ما سكروا . [1]

ورد "السكر" في القرآن الكريم لقوله تعالى﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ سورة النحل الآية 67.

- **السكر:** في هذه الآية ما سكر من الخمر، والرزق الحسن وجميع ما يؤكل من الشجرتين كالتمر والدبس والزبيب والخل، وكان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر. [2]

السكر الذي تحدث عنه الشاعر في القصيدة ليس السكر الحقيقي الذي تعقبه الخمرة، والخروج عن اللاوعي واللاشعور، وإنما يقصد به الحب الإلهي الذي كان يتغلغل داخل الشاعر، وإلى النشوة التي يخلفها من انتفعوا وأخذوا من الإمام ونفعهم بعلمه، فه وبمثابة النور أي كالمصباح الذي يهدي إلى الله تعالى، وقد وظف الشاعر العديد من الألفاظ التي تعبر عن هذا السكر منها(عصرت، داليات، خمرتنا، الساكرون) وهي ألفاظ يستخدمها أهل الشراب.

يواصل الشاعر مرثيته قائلا:

وما تلفت إلا للألى نذروا...

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

(2) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع نفسه، ص 274.

أرواحهم في سبيل الله... واحتكموا

لله...واقتدروا بالله...وانتصروا. [1]

وظف الشاعر عدة ألفاظ من القرآن الكريم منها"سبيل الله"، انتصروا، **قال تعالى:** ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ سورة الصف الآية 11.

الجهاد في سبيل الله بأن تبذلونفوسكم مهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته. [2]

وقال عز جلاله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ سورة البقرة الآية 190.

هنا حث الله على القتال في سبيل الله والإخلاص، ونهي عن الإقتتال في الفتن بين المسلمين[3].

ويقصد الشاعر من توظيفه هذه اللفظة القرآنية أن المجاهدة بالأنفس، فهذا يدل على أنهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم في سبيل الله، كما اقتبس لفظة انتصروا في القرآن الكريم التي وردت بعدة صيغ منها قوله جل ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ سورة محمد الآية 07، والمقصود بأن تنصروا الله القيام بدينه والدعوة إليه وجهاد أعداءه ، والقصد بذلك وجه الله فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أ، الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره... [4]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 104.

(2) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 223.

(3) نفسه، ص 83.

(4) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع نفسه، ص 751.

فقد حث الله عز وجل المؤمنين على الإشتغال بما ينفعهم في الدنيا وهذا المعنى الذي تناهى به الشاعر لأن الله يساعد على تحقيق النصر الذي وعد به عباده، وبما ينفعهم في الآخرة، ويوصلهم إلى الفوز لأن الله لا يضيع عمل أحد وأنه سيجازيهم، فهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه واستمدوا قوته منه فكان بذلك نصرهم، والنصر ليس بالقوة البشرية المادية وإنما حقيقة النصر من عند الله ويظهر ذلك في **قوله تعالى**﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ سورة أل عمران الآية 150.

فمن استنصر بغير الله تعالى من قوى البشر والشرق والغرب والماديات خذله الله تعالى وهزمه، ومن استنصر بالله واحتكم به كفاه.

كما جاء في القصيدة قول الشاعر:

وسرى بك العمر معذورا إلى أجل

وافى سريعا وليل الجهل معتكر. [1]

أي مضى بك العمر سريعا، وكانت حياتك قصيرة، لكن هذه سنة الحياة، ورغم الجهل الذي ساد في هذه الأمة بسبب الإنكسار الذي سببه فقدان العالم الجليل" محمد الغزالي"، إلا أن هناك أملا بعث في الأمة حياة جديدة، يظهر ذلك من خلال لفظة(سرى) التي جاءت دالة على السرعة والنظر إلى حياة مليئة بالآمال بعدما كانت مليئة بالألام مقتبسا هذه اللحظة من القرآن الكريم الواردة في سورة الإسراء **لقوله تعالى**﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ سورة الإسراء الآية 1.

فأسرى: أي أسرى به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا، ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة. [2]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 104.

(2) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 427.

وهنا دلت لفظة سرى على انتقال الرسول من المسجد الحرام إلى الأقصى وإلى سابع سماء، هاته السرعة التي اشتركت فيها حياة الإمام وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وكأنه لم يعش لحظة والذي خلف فقدانه فراغا كبيرا داخل الأمة.

وعليه لفظة" سرى" في القرآن الكريم وفي القصيدة جاءت دالة على السرعة.

وفي موضع آخر من هذه القصيدة يصور الشاعر وضع الأمة بعد فقدانها لهذا العالم لقوله:

في أمة تتردى... وهي مدركة. [1]

يشير الشاعر في هذا البيت **لقوله تعالى:**﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾سورة الليل الآية 11.

تردى: أي ملك، وسقط في جهنم. [2]

أما في القصيدة جاءت هذه الكلمة لتدل على أن الأمة الإسلامية أصبحت في وضع متدهور وفي طريق الهلاك والضياع نتيجة لفقدانها للعالم العظيم والذي كان بمثابة الإمام المنتظر وهي موقنة ومدركة بحالها الذي آلت إليه وحدوث ثغرات ما بين شعوبها، فهذا اقتباس من حيث اللفظ غير الدلالة.

يستمر الشاعر في اِستحضاره بعض السور القرآنية واِسقاطها دلالتها بما يتلاءم وتجربته الشعرية في هذه القصيدة يستند إلى اقتباس ديني آخر مستمد من القرآن الكريم ويظهر ذلك في قول الشاعر:

صراطها مستقيم... وهي تنكسر.

في أمة أدركت قصوى جهالتها

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

(2) عبد الرحمان بن ناصر، المرجع السابق، ص 595.

إن زفت منها شهيد، قيل منتحر. [1]

يستحضر الشاعر في هذا البيت **قوله تعالى:**﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ سورة الفاتحة الآية 6.

وفي **قوله تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ سورة يس الآية 61.

الصراط المستقيم: لغة: هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، والمراد به في الآية طريق الإسلام الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به. [2]

أما في الأبيات فهو يقصد به أن الأمة رغم إدراكها للطريق المستقيم والنهج الصحيح الذي حث عليه الإسلام إلا أنها لا تزال غارقة في جهالتها بسبب عدم الإهتمام وأخذ الأمور بجدية، وأنه سيأتي اليوم الذي تنهض فيه من غفلتها وسباتها لتدرك أنه من مات في سبيل الحق ورفض الظلم شهيد وليس منتحرا والإشارة إلى الوضع الذي نعيشه حاليا أين نسي العرب المسلمون أخلاقهم واتبعوا أخلاق غيرهم.

فالله عزوجل أمر عباده بإتباع طريق الحق والصواب والابتعاد عن طريق الشر والشاعر أخذ المعنى الصحيح من الآية فاستحضر لفظة" صراطها مستقيم"، فالتناص هنا جاء على شكل امتصاص لمضمون الآية ومطابقا لمعناها، أي هو اقتباس كلي شكلا ومضمونا.

ثم يقول: كأنما الخيل لم تسرج لملحمة

ومن حوافرها لم يقدح الشرر. [3]

في هذين البيتين مثل الشاعر دور الإمام محمد الغزالي في توعية الأمة ونشر العلم والمعرفة، وتعليم أفرادها، كدور الخيل في الملحمة لتحقيق الانتصارات، ورسم صورة جمالية

(1) لزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.
(2) عبد الرحمان بن ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 25.
(3) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 106.

المتمثلة في صورة الخيل عندما تلتطم حوافها بالحجر وما تخلفه من شرارة نارية بحوافها، وقد ورد هذا المعنى تناصا مع القرآن الكريم في سورة العاديات **لقوله تعالى:** ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴾سورة العاديات الآية 2.

قدحا: وهي الخيل حين توري النار فيخرج الشرر بحوافها إذا ضربت بها الأرض الشديدة والحجارة كالقدح بالزناد. (1)

ومن خلال الربط بين المعنيين نخلص إلى أنه هناك تناص كامل ومباشر يظهر من خلال اللفظة.

I. التناص مع الحديث النبوي الشريف:

لم يحتل التناص الحديثي مساحة كبيرة، مقارنة مع التناص القرآني في القصيدة ولكننا لمسنا ذكره في عديد المواضع، فهناك ألفاظ نسجلها تدور أغلبها حول القوة، التحدي، وتخدم ميادين الإصلاح الديني والإجتماعي وقد التزم الشاعر في بعض الأحيان بالمعنى الذي أعطاه الحديث للفظة والدلالة التي يدل عليها في الأصل، وفي المعنى الآخر كان لا يتقيد بهما فلا يكون له من الاقتباس سوى الإعجاب باللفظة والارتباط بالحديث.

ومن نماذج تناص اللفظ مع الحديث النبوي قول الشاعر في مطلع القصيدة :

جوادك الحق معقود به الظفر. (2)

وردت لفظة معقود في الحديث النبوي فعن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".(1)

(1) محمد سليمان، عبد الله الاشقر، المرجع السابق، ص595.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

ومعنى عقد الخيل بنواحيها أي ملازمته لها كأنه معقود فيها، والمراد بالناصية (شعر المسترسل على الجبهة). [2]

قام الشاعر باستحضار لفظة "معقود"لأنها تتناسب مع الحادثة فقد عبر بها عن المقام الذي هو بصدد إيصاله للقارئ، فهويصور بكل دقة ارتباط وملازمة " العلامة" طريق الحق الذي هو جواده وذلك من أجل الظفر والفلاح فعبر عن هذا بلفظة بليغة وهي " معقود" التي جاءت تحمل نفس المعنى ولها نفس الدلالة في الحديث والبيت الشعري.

يستمر الشاعر في تعديد محاسن الإمام الراحل قائلا:

ورايةالله بالتوحيد خافقة.

في كل قلب بما ذكرت يدكر. [3]

توحي لفظة الراية إلى إعلاء كلمة لا إله إلا الله في سماء التوحيد الذي هوالطريق إلى النجاة في الدنيا والآخرة، فهويخاطب الإمام ويقول له: جعلت قلوب الناس مدركة ومعتبرة ومملوءة بالتوحيد، وكأنه هوالذي أخذ الراية في عصره وساهم في إعلاءها، وهنا نستحضر الحديث النبوي فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم". [4]

الراية التي وردت في الحديث النبوي هي العلم الذي يرفع في المعارك ومن يحمل الراية يكون هوالمسؤول والقائد الذي يتقدم الجيش.

---

(1) سنن النسائي، موسوعة الحديث النبوي الشريف، الإصدار الثاني .

(2) ابن حجر العسقلاني، الصحيح البخاري، ج3، دار الريان، (د،ب)، 1986، ص 66.

(3) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.

(4) صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار السلام للنشر و التوزيع، الرياض، (د،ت)، ص 336.

يخاطب الشاعر الإمام قائلا:

يا حجة الله في ليل يذبحنا. [1]

وردت لفظة " حجة الله" في الحديث النبوي فقد روي عن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " العلم علمان علم على اللسان فتلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع". [2]

المعنى الذي يقصده الشاعر من هذا التوظيف مخاطبة الواثق أن المخاطب هودليلنا إلى العلم والمعرفة في هذا الوقت الصعب، فقد أيده الله سبحانه وتعالى بالعلم والإيمان، فهويبقى حي بالعلم الذي خلفه بعده، كما صور لنا حالة الواقع المنهار الذي عايشه الإمام وكان فيه شعلة متوهجة .

يواصل الشاعر رثائه للعلامة محمد الغزالي فيقول:

هدى قواعد بيت الله باكية.

عليك والمسجد المحزون والستر.

مآذن القدس والمحراب دامعة

وروضة المصطفى... والشمس والقمر. [3]

جاءت لفظة الروضة في الحديث النبوي الشريف فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي". [1]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 102.
(2) البخاري، الصحيح، ج3، دار طوق النجاة، مح: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د،ب)،(د،ت)ص 246.
(3) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 103.

هنا عبر الشاعر بصدق عن حبه للإمام، فقال إن ابتعادك عن الحياة أثر فينا وأحزن وأبكى حتى بيت الله ومآذن القدس والمحراب وروضة المصطفى يكاد ينطقها الألم من كثرة الحزن والتأثر لفراقك.

وقد استخدم لفظة " الروضة" لما لها من معان ودلائل، فهي تدل على قبر المصطفى، كما تدل على مكان مقدس من رياض الجنة، وهي توحى أن مصيبة موته عمت حتى أبكت الأشياء وذلك على سبيل التمثيل والتخيل وهنا بالغ الشاعر في وجوب الجزع والبكاء وذلك لمكانة المرثى لما خلفه من عمل صالح وفي معنى القول قول مجاهد: إن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحا.

يقول الشاعر:

وكيف لا؟ وهي تدري أنها فقدت.

فيك الإمام الذي مازال ينتظر. [2]

يشير هنا إلى قصة المهدي المنتظر الذي نبأ بظهوره النبي فقال: " لتملأن الأرض جورا وظلما فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من اسمه اسمي واسم أبيه أسم أبي فيملؤها عدلا وقسطا فلا تمنح السماء شيئا وقطرها ولا الأرض شيئا من نباتها".[3]

استدعى الشاعر شخصية المهدي المنتظر، لما كان له من أثر في تغيير الواقع العربي، إذ ساد الظلم والجور فيه والمبادرات التي قام بها للقضاء على ذلك، وكذلك أثر الإمام الغزالي في تغيير مجرى قسنطينة التي حزنت كثيرا لفقدانها لمثل هذه الشخصية العظيمة والذي كان يعتبره

(1) البخاري، المرجع السابق، ص 188.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 104.

(3) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح جامع الصغير، ج6، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ، ص 262.

بمثابة المهدي المنتظر، فكان استدعاء الشاعر لمثل هذه الشخصيات يتطلب منه مقدرة فنية حتى يستطيع الربط بين الشخصيات والوظيفة التي تؤديها وذلك من أجل إظهار رؤيا الشاعر.

ويقول الشاعر في موضع آخر في اقتباسه من الحديث النبوي:

نحن الموات...لهيب الجهل يصهرنا

وأنت حي بنور العلم تنصهر!!. (1)

مزج الشاعر في هذين البيتين قوله مع معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث روي عن أبي هريرة قال: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا ثلاثة صدقة جارية أ وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوله" فالحديث يدل على فضيلة العلم والترغيب فيه والعمل على توريثه بين الأجيال وأن نختار من العلم الأنفع لذلك يقول الشاعر انه على الرغم من انتقال العلامة محمد الغزالي إلى الرفيق الأعلى إلا أنه حي بأعماله وعلومه التي مازلنا نستفيد منها حتى الآن، ونحن نعيشها من خلال كتاباته ومؤلفاته، فالشيخ محمد الغزالي حث على تعليم العلم وبثه بين الناس وعلى الوعظ والاعتبار والتذكير بالدار الأخيرة، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث أخر: « إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير»، فثواب العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة. (2)

ثم يأخذنا الشاعر إلى قول آخر فيقول:

وجاءك الملك الموكول يعتذر

كأنه ما سقى من كفه أحدا

ولم يذق كأسه جن ولا بشر

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 107.

(2) الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، ج1، المكتبة الإسلامية ، ط2، بيروت، 1983، ص 300.

لوكان يمهل وعد الحق بوعده

هل كنت أول وعد يمهل القدر. [1]

أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى الحديث الشريف الذي يورد قصة ملك الموت المكلف بقبض روح سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم .

« دخل الملك جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ملك الموت يا لباب ويستأذن أن يدخل عليك وما استأذن من أحد قبلك، فقال له : إإذن له يا جبريل، ودخل ملك الموت وقال: السلام عليك يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل الرفيق الأعلى، فوقف ملك الموت عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أيتها الروح الطيبة، روح محمد بن عبد الله، أخرجي إلى أرض من الله ورضوان وربي راض غير غضبان».[2]

الشاعر يسرد قصة الملك عزرائيل الذي أمر بقبض روح الإمام الغزالي فجاء يعتذر كأنه لم يقبض روح أحد من قبل لا من جن ولا إنس.

فنجد أن هناك مبالغة من الشاعر لأن ملك الموت لم يعتذر ولم يستأذن من أحد سوى رسول الله، وخيره بين الموت والحياة، فاختار الموت، فلوكان الله ممهلا وعدا وعده، أو مخالفا أجلا لأحد، لن تكون أنت من يزيد الله في أجله بل لوكان ذلك لنال في الزيادة للأنبياء والصالحين ، والصحابة رضوان الله عليهم.

وعليه لم يوفّق هنا في استحصار النص الحديثي لأنه مبالغ فيه، فقد رفع منزلة الإمام " لمنزلة النبي" التي لا يرقى إليها أحد من قبله ولا من بعده، فهوسيد البشرية التي تدين له بالكثير.

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 106.

(2) الحديث وعلومه، المكتبة الشاملة، الطبراني في المعجم الكبير، ج12، ص 141.

يواصل الشاعر تناصه من الحديث الشريف حيث يستحضر قصة الحجر في قوله:

وفي ربى غزة يستنفر الحجر.[1]

هنا يشير إلى الحديث الشريف الذي مفاده في رواية أحمد من طريق أخرى عن سالم عن أبيه تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، أو ينزل الدجال هذه السبخة أي خارج المدينة ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أوالحجر فيقول الحجر والشجر للمسلم هذا يهودي فاقتله. [2]

وفي الصحيحين كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه يهودي : تعال يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله. [3]

فالحجارة رمز للمقاومة والجهاد ففي الوقت الحالي تعد الحجارة وسيلة من وسائل المقاومة فهاهم أطفال غزة الجريحة اتخذوها سلاحا لمحاربة الأعداء أما توظيف الشاعر للفظة " يستنفر" تدل على الغضب فهي غير راضية عن الاحتلال الإسرائيلي، فيأتي وقت تتحدث فيه فتساعد المسلمين في القضاء على اليهود كما أخبرنا بذلك الرسول الكريم صلى الله عيه وسلم، وفي موضع آخر من القصيدة يوظف الشاعر التناص من الحديث النبوي والذي نلمسه في قوله: صلت عليك أحاديث وأدعية

وشيعتك إلى إغفاءك السور

واستغفرت لك في السبع العلى أمم

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 108.

(2) أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ح.1379هـ ، ص 283.

(3) عبد الله الفقيه، فتاوى شرعية مؤصلة، الشبكة الإسلامية، 1427هـ، ص 3650.

والبر والبحر... والواحات ... والجزر.[1]

وهنا يقصد الشاعر أن كل البشرية صلت عليك ودعت لك بعد رحيلك والمقصود بالصلاة الدعاء، فإنه لم يبقى سوى مخلفاتك من الأعمال وأن جميع المخلوقات استغفرت لك في السماوات السبع ورفعت يدها حتى ماهوموجود في البر والبحر والواحات والجزر من مخلوقات حزنت عليك لفراقك عنها، وهذا ما ورد في معنى الحديث النبوي الذي حث فيه عليه الصلاة والسلام على إكرام طالب العلم وبين أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وأن الحيتان في البحر لتستغفر له رضى بما يصنع. [2]

كما أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا محمد عن الأعمش عن سعيد بن زبير عن أبي عباس قال: " إن معلم الخير لتصلي عليه دواب الأرض حتى الحيتان في البحر".

يستمر الشاعر في رثائه للإمام الغزالي قائلا:

تنازعتك بقاع الأرض قاطبة

فاستأثرت بك من يثوي بها الأثر.

فنم بجيرة خير الخلق كلهم

طاب الجوار وطاب الزاد والسفر. [3]

وهنا يشير الشاعر إلى قصة الرجل الذي تنازعت عليه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقد روي عن أبي سعيد الخذري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 109.

(2) معمر بن راشد، موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com

(3) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 109.

وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال له لا فقتلته فأتم به المئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل عن رجل عالم، فقال له: إنه قتل مئة نفس فهل له توبة؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا يقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدميّ فجعلوه بينهم، فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهوله، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة. [1]

وغاية الشاعر من استحضار قصة هذا الرجل تمثيل تنازع ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، بتنازع بقاع الأرض كلها، التي أرادت أن تكون قبرا للإمام، ولكنه دفن بجوار خير الخلق في خير بقعة على وجه الأرض كما حظي هذا الرجل بدفن في أرض الطيبة مع المؤمنين.

II. التناص مع الشخصيات الدينية:

لعبت الشخصيات الدينية دورا فعالا في القصيدة، وأوضحت مصدرا ثريا من مصادر الإلهام الشعري، ومفتاحا من مفاتيح عالمه السحري فقد مثلت هذه الشخصيات دورا هاما من أجل تعرية الواقع الراهن الذي انكسر فيه أملهم وحلمهم في التحقيق والتعبير عن أفكارهم.

والزبير دردوخ واحد من الشعراء الذين عمدوا إلى استخدام هذه التقنية واستثمارها استثمارا فنيا، وبالخصوص في قصيدة " مرثية لأخر نخلة" من خلال استلهامها لبعض جوانب هذه الشخصيات واسقاطها على الواقع العربي المعاصر، ولعل من أهم هذه الشخصيات نجد: "هولاكوا، وأبرهة، وقد ورد ذكرهم في البيت التالي:

(1) منتدى عقيدة أهل السنة و الجماعة، تاريخ التسجيل 2012/08/11 س 18:30 .

واستأجرت جيش هولاكوا وأبرهة. [1]

هولاكوا: زعيم أتتار الذي دمر بغداد، ففي عام 656هـ تحرك المغول بقوات كبيرة ومعدات ضخمة لغزو المذهب الشيعي والخلافة في بغداد، وكانت هذه الحماية بقيادة " هولاكو جنكيز خان التركي"، فوضع معالمها وقتل خليفتها وعالمها، خرّب دورها وهدّم قصورها وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام.

أخذ الأموال والحواصل ونهب الذراري والأرامل وأورث بها خرابا يعدد به في المبكّرات والأصائل، وصيرها في الأقاليم وعبرة لكل معتبر. [2]

وبعد فراغه من أمر بغداد هاجم بالقوة الرئيسية للتيار الجزيرة وحلب فقد مثل الشاعر بهذه الشخصية الغرب الذين استأجرتهم الأمة العربية من أجل تدمير ونهب البلاد والشعوب العربية، وهنا يشير إلى الواقع والوضع الراهن الذي نعيشه حاليا، كما وظف لفظة استأجرت التي ترمي إلى أن، الحكام العرب يقدمون مقابل مادي من أجل حماية البلاد ولكن عكس ذلك فهي تأتي من أجل نهب خيرات الشعوب بحجة القضاء على القوة الشريرة التي تعرض الطريق لنيل الحرية والظفر بالمستقبل.

أما بالنسبة لشخصية " أبرهة" فقد وردت في سورة الفيل وأبرهة كان قائدا لأصحاب الفيل والذي كان من أصل حبشي قومه من النصارى من الأحباش، ملكواليمن، ثم ساروا منه يريدون تخريب الكعبة، ولما أقبلوا على مكة أرسل الله عليهم الطير المذكورة في هذه السورة فأهلكتهم،

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

(2) ابن كثير القرشي أبو الفداء، البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت،(د،ت)، ص 101.

وكان ذلك آية، وقد وقع ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين عاما، وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء عند البعثة. [1]

فهذه الشخصية أوحت إلى القوى الشريرة التي كانت سائدة منذ القديم والتي أعطت للقصيدة قيمة دينية وتاريخية، فقد عاد إلى الماضي يبحث فيه عن الحاضر وتعريته والكشف عن زيفه حتى تكون محركا للمجتمع والعمل على تغييره.

كما جاءت هذه القصيدة زاخرة بمختلف الشخصيات الدينية العظيمة منها: خالد ابن الوليد، المثنى ابن حارث، الخضر، عمر ابن الخطاب إضافة إلى أبي بكر الصديق.

فشخصية خالد ابن الوليد جاءت في قول الشاعر:

وحاصرت في روابي القدس خالدها. [2]

خالد ابن الوليد: هو البطل المشهور والفارس المأثور صاحب الفتوحات العظيمة والغزوات الكثيرة، ومن أشهر الفاتحين في الإسلام، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية، أما القبة فكانوا يظربونها ويجمعون فيها ما يجهزون به الجيش .

وأما الأعنّة: فإنه كان المقدم على خيل قريش في الحروب أي أنه كان قائد فرسانهم. [3]

فهو الملقب بسيف الله المسلول صاحب العبقرية الفذة في حروب الردة والفتوحات الإسلامية وهو الذي قال فيه أبو بكر الصديق.

لم تنتكس له راية وأوّل مدينة فتحها هي البصرى.[1]

(1) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص.601

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

(3) محمد رضا، السيرة النبوية، المكتبة الشاملة، ص 196.

فخالد بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعا مجيدا قل أن يحدث مثله في تاريخ العالم، وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التي حاربها من فرس وروم واعترف له علماء التاريخ بالكفاية الحربية النادرة وصدق فيه رسول الله أنه سيف من سيوف الله.

وضف الشاعر هذه الشخصية العظيمة من أجل استحضار الأبطال الذين كتبوالتاريخ الإسلامي، و مقارنته بالوضع الحالي الذي تعيشه فلسطين، كما يعبّر عن تواطئ العرب على خيانة فلسطين وشعبها، وتضيع مكرماتها وإماتة كل بذرة مقاومة شريفة، وكأن هذا القدس لم يكن أبدا مكانا للمكرمات وموردا للأبطال الشرفاء الذين تفتخر بهم.

أما بالنسبة لشخصية المثنى ابن حارثة فقد ورد في البيت التالي:

ولا المثنى تثّنى فوق أدهمه. [2]

يستند الشاعر في هذا البيت بشخصية المثنى ابن الحارث الذي كان قائد عسكري مهد لفتح بلاد فارس، وهومن التابعين، وأول من حارب الفرس أسلم في السنة التاسعة من الهجرة، وهومن قبيلة بني شيبان وقائدها العسكري، خدم الإسلام كثيرا، ووصل إلى فتح فارس في مدينة المدائن واستشهد على بابها، وهناك دفن عندما أصيب في معركة الجسر، التي كان بطلا فيها قام بإنقاذ الجيش الإسلامي حينما أصلح االجسر الذي قطعه عبد الله بن مرشد ليمنع المسلمين من العودة. [3]

ومن نماذج الشخصيات الخيرة استحضر الشاعر شخصية علي ابن أبي طالب في قوله:

عزا...ولا عز صديق...ولا عمر

---

(1) علي محمد الصلابي، أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، شخصيته و عصره ، المكتبة الشاملة (د،ب)، 2001، ص 73.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

(3) http://www.3hazh.com .2013 11يوليو

كأنما الخيل لم تسرج لملحمة

ومن حوافرها لم يقدح الشرر

كأن حيدر ما أبلى ولا نبتت

من جرحه المكرمات البيض والعتر[1].

أبي بكر الصّديق: ابن أبي قحافة، لقب عتيقا لعتقه من النار وقيل لحسن وجهه، وإن الله عز وجل هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقا، كان في خدمة المصطفى عليه السلام وكان مصاحبا له في كل مسكن وموضع فكان نصيبه من هذا المنصب أعلى من نصيب غيره. [2]

خرج أبو بكر الصّديق من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم في سبيل نشر دين الله في الآفاق وستظل الحضارة الإسلامية مدينة لهذا الشيخ الجليل الذي حمل لواء دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وحمى عرشه عليه الصلاة والسلام، وقام برعاية بذور العدل والحرية وسقاها بأزكى دماء الشهداء فأتت من كل الثمرات عطاءا جزيلا حقق عبر التاريخ تقدما عظيما في العلوم والثقافة والفكر، وستظل الحضارة مدينة للصديق بجهاده الرائع وبصبره العظيم حمى به الله دين الإسلام في ثباته في الردة ونشر به الإسلام في الأمم والدول والشعوب بحركة الفتوحات العظيمة التي لم يشهد لها التاريخ مثلا. [3]

عمر بن الخطاب: أول من جهر بالإسلام، وهاجر جهرا على اللاعين من قريش، أحد المبشرين بالجنة، أول من لقب بأمير المؤمنين، فتح الأمصار وقهر الكفار وأعز أهل الإيمان وأذل أهل

(3) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 106.

(2) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 125.

(3) علي محمد الصلابي، المرجع نفسه ، ص 113.

النفاق والعدوان، ونشر الإسلام والدين، وبسط العدل في العالمين، ووضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدين ومصر الأمصار للمسلمين واخرج منها ازيد مما دخل فيها، لم يتلوث لهم بمال ولاولى احد من أقاربهم ولاية، سمي بالفاروق. [1]

اتصل الشاعر بشخصية أبوبكر الصّديق وعمر بن الخطاب لّما تحتله من مكانة لدى المسلمين فهما غنيان عن التعريف، وقد تنامى الشاعر معهما للتعبير عن هزائم الواقع وانكساراته وتناقضاته، فما أحوجنا لمثل هاتين الشخصيتين، وهوبذلك يدين ويثور، إن لم نقل يتمرد من خلالها لتغير الواقع.

و يقول الشاعر:

كأن حيدر ما أبلى ولا نبتت

في جرحه المكرمات البيض والعتر [2]

حيدر: اسمه عبد مناف ابن عبد المطلب أبو الحسن الهاشمي، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ عند النبي وصلى معه أول الناس وشهد بدر والمشاهير تبوك فإنه استخلفه فيها على المدينة وبعثه إلى اليمن قاضيا وضرب بيده في صدره وقال: الّلهم اهدي قلبه وسدد لسانه ومناقبه كثيرة، بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان وه وبن 63 سنة. [3]

أشاد الشاعر بهذه الشخصية (علي ابن أبي طالب) وذلك لما خلفه من شهامة و بطولة فعبّر به الشاعر في القصيدة عن الأسود الذين صنعوا المجد الإسلامي قديما فما أحوجنا لمثل هذه الشخصيات في الوقت الحالي.

(1) محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، أبو بكر الصديق أفضل الصحابة، المكتبة الشاملة، ص 96.

(2) الزوبير دردوخ، المرجع السابق، ص160.

(3) عبد الرحمن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، إسعاف المبطئ برجال الموطن، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص 21.

يواصل الشاعر توظيفه لنماذج من الشخصيات التي لها بصمة خاصة في تاريخ الأمة الإسلامية فيقول:

فذّا ... كأّنك في أيامنا الخضر. [1]

فالخضر: كان عبدا صالحا لا نبّيا على الصحيح أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه، وحسن عمله، وكان قد أعطى من العلم ما لم يعط موسى وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية والأصولية، لأنه من أولى العزم من المرسلين الذي فضلهم الله على سائر الخلق بالعلم والعمل، ولّما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة والإخبار من مطلبه، وكان الخضر قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة ما به يحصل له الاطلاع على مواطن كثيرة من الأشياء التي خفيت حتى على موسى. [2]

قامت هذه الشخصية بدور التمثيل فقام الشاعر هنا. تشبيه الإمام محمد الغزالي بالخضر فذلك ليبين للقارئ مقدار علم الإمام واطلاعه على خوافي كثيرة كّنا نجهلها، فه وبمثابة المرشد والمعلم والداعي الذي كان له الفضل الكبير.

الغرض من توظيف الشاعر للشخصيات المذكورة سابقا هوإحداث مقارنة بين زمن المجد والبطولات التي حققها هؤلاء القادة، وبين التواطؤ الذي يعيشه العرب المسلمين فيما بينهم اتجاه فلسطين وشعبها.

يواصل الشاعر مرثيته قائلا:

في كل مصر ترى فرعون منتظرا

ميلاد موسى بجيش كله خطر

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 107.

(2) عبد الرحمان ناصر السعدي، المرجع السابق، ص 455.

لكن موسى سيأتي رغم ما حشدو

وكل فرعون مصر سوف يندحر. [1]

وظف الشاعر في هذه الأبيات شخصيتين دينيتين هما: " موسى عليه السلام" و" فرعون" فشخصية فرعون تمثل أضخم نموذج بشري للشر في القرآن، إنّه والملأ من قومه يمثلون معسكر الكفر والشر في مواجهة معسكر الإيمان والخير الذي يمثله موسى عليه السلام والمؤمنون معه، وصورة الصراع المحموم بين المعسكرين والعداوة المطلقة رغم تاريخها وواقعتها في تجلياتها القرآنية، نموذج يتجاوز تاريخيته ليقيم صورة خالدة للصراع الدائب بين قوى الحق والنور وقوى الشر والظلام.

أّما الطغيان فيبتدي من خلال السلطة المطلقة التي اجتمعت بين يديه والتي راح يستخدمها على هواه دون رادع، فهو يتصرف في شؤون رعيته ودولته جسما يرى فيه المصلحة لعرشه وسلطانه فنراه كما يصوره القرآن يستخدم قوته وسلطاته المطلقة في استضعاف طائفة من الرعية يمارس ضدها أشنع أنواع العنف. [2]

أّما شخصية موسى فهوواحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة، وتحّملوا في سبيل دعوتهم الكثير من العنف والتضحيات وقد لقي من عنف اليهود أنفسهم الكثير، والقيم التي جاء بها موسى تتناقض كلية مع ما تمثله الصهيونية المعاصرة من عدوان أ وشر. [3]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص ص 108–109.

(2) نزيه محمد اعلاوي، الشخصيات القرآنية، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، ص 114.

(3) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ص 87–88.

تبدأ قصة العداوة بين موسى وفرعون قبل مولده، حيث أمر فرعون بقتل كل غلام يولد في هذا العام لأنه كان هناك نبّوة بأنه يخرج من بني إسرائيل من يهدم عرشه ووضعت أم موسى هذا الغلام.

والغاية من توظيف هاتين الشخصيتين هو الاسقاط فقد أسقط شخصية فرعون وتخوفه من ميلاد موسى على الغرب من استيقاظ المسلمين من غفلتهم وإعلانهم الجهاد الأكبر في سبيل الحق، لهذا نجد الغرب في استعداد كامل لقتل كل مقاومة مهما صغرت، أّما شخصية موسى فتوحي إلى البطولة وانتصار الحق، إذ لابد من المعاناة في سبيل نيل الحرية والنصر.

وقد ورد هذا الاقتباس الدال على الجهاد والتضخية من القرآن الكريم **لقوله تعالى:** ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ سورة القصص الآية 38.

ففي هذه الآية نجد تمسّك اللعين فرعون، بمجرد الدعوى الباطلة مغالطة لقومه، وقد كان يعلم أنّ ربه الله، ثم رجع إلى تكبره وتجبره وإيهام قومه بكمال اقتداره.

ففرعون من خلال قوله هذا يظهر مدى شركه وكفره اتجاه ربّ العرش العظيم في تحديه وكفره " لموسى عليه السلام" وإلى الله عزّ وجل جلاله.

ولم يكتفي الشاعر في هذه القصيدة بالاقتباس من القرآن الكريم والتناص مع الحديث النبوي الشريف واستحضار الشخصيات الدينية والتراثية بل وظف أماكن لها دورا في حياة الإمام محمد الغزالي فقد استحضر مدينة تاريخية عريقة " سرتا" أي قسنطينة التي كانت منطق بطولات وتضحيات هذا العلّامة فهويصف الحالة التي أصبحت عليها هذه المدينة بعد فقدانها لهذا الإمام، الذي كّرس حياته من أجل إصلاح الأمة، ويظهر ذلك من خلال توظيفه بعض المفردات

(أحزانها، أحداقها، فقدت، ينتظر) فقسنطينة تألمت وحزنت وبكت عندما تلّقت نبأ وفاة هذا الإمام العظيم لأنه كان بمثابة الإمام المنتظر وقد ورد ذلك في قوله:

أجفان سرتا على أحزانها اشتبكت

لّما تناهى إلى أحداقها الخبر

وكيف لا؟ وهي تدري أنها فقدت

فيك الإمام الذي مازال ينتظر. [1]

كما وظّف العديد من الأماكن الدينية التي تحيل إلى موت لعالم مثل: القدس، غزة، حزب الله، العراق، الشيشان وإلى أمكنة أخرى التي بقيت حية وصامدة رغم الاحتلال مثل: مكة والمدينة إلى جانب الأماكن التي انتصرت على الاحتلال مثل: الأوراس وسرتا وهذه الأماكن تعكس دائما القيم والعادات والتقاليد التي تبقى خالدة لا تموت.

إلى جانب توظيف الشاعر للأماكن والشخصيات الدينية والتاريخية إلاّ أنّ القصيدة لم تخل ومن أهم الأحداث العظمى التي خاضها المسلمين في التاريخ الإسلامي نذكر منها ما ورد في قول الشاعر:

في موكب حادياه الروم والتتر

واستأجرت جيش هولاكو وأبرهة

وجوعت دجلتيها. كيف تعتذر. [2]

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 104.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

عند حديثنا عن التتار يتبادر في أذهاننا جميع الصفات الوحشية والقسوة والإبادة التي كانت تميّزهم عندما اجتاحوا العالم الإسلامي وأكثر الأسماء ارتباطا بهذه الصورة الحالكة السواد عن التتار هو" هولاكو" حفيد جنكيز خان، ويطلق لفظة التتار على قبائل الماغول الترك بقيادة جنكيز خان. حيث وقعت حرب بموقعة " عين جالوت" بين الجيش الإسلامي في عهد المماليك بقيادة " ركن الدين بيبرس" وجيش التتار بقيادة جنكيز خان، اجتاحت هذه الحرب أواسط الصين وشمال غربي الهند ووصلت" بغداد عاصمة الخلافة العباسية بقيادة جيش " هولاكو" وحطموا كل مقاومة واستلم الخليفة وانتهت الدولة العباسية بعد حكم دام أكثر من خمسة قرون.

هولاكو فتح الشام ووضع خطة لغز ومصر وأرسل تهديدا إلى السلطان المصري " قطز"فرد عليه بقتل سفرائه ونادى بالجهاد في سائر بلاد الشام وسار على رأس الجيش لمولاقات التتار بالشام، وكان على طلائع جيشه الأمير ركن الدين بيبرس فقد استطاع في" عين جالوت" أن ينقض الإسلام والمدينة والخلافة لمصر وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية. [1]

وعندما لم يكن " لهولاكو" أي هدف في الحياة إلاّ أن يدمر المماليك الذين هزموا جيوشه ودمروا كبريائه، كل هذه الهزائم والانتكاسات أصابت هولاكو بالهم والحزن الشديد حتى أصيب بمرض الصرع الشديد وكان يعوي كالكلاب مات لعنة الله عزوجل في 09-ربيع الأول 663هـ. وبعد معاناة طويلة مع مرضه الصرع الشديد كان هولاكو عدّوا لدودا للإسلام جبّارا عليه فاجرا كافرا لعنه الله قتل من المسلمين ما لا يعلم عددهم إلاّ الله، وكان لا دين له، كان همه في تدبير مملكته وتوسيع دائرتها حتى أذاقه الله لباس الهم والغم والنكد وضربه بالصرع أخذه أخذا عزيزا مقتدره. [2]

(1) أحمد شويخات، الموسوعة العربية العالمية،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، (دط)،الرياض،2004،ص95.

(2) ينظر: http://www.islammemo.cc12/05/2003 ربيع الاول 663هـ- 1875م،

أّما قصة جيش أبرهة المعروفة كانت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت من جملة إرهاصات دعوته ومقدمات رسالته تروي أنّ أصحاب الفيل قوم من النصارى من الأحباش، ملكوا اليمن، ثم ساروا منه يريدون تخريب الكعبة، فلّما أقبلوا على مكة أرسل الله عليهم الطير المذكور في هذه السورة (طير أبابيل) فأهلكهم، وكان ذلك آية، وقد وقع ذلك قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين عاما، وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء بعد البعثة، فجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة، ضلالا منهم أدى بهم إلى الهلاك، فأرسل الله عليهم جماعات متفرقة، وهي عبارة عن طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار : حجران في رجليه، وحجر في منقاره، لا تصيب شيئا إلاّ هشمته فقالوا : أّنها حجارة من طين، طبخت بنار جهّنم، مكتوب فيها أسماء القوم، فإذا أصابت أحدهم حجر منها خرج به الجدري، وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة، فجعل ذلك القوم كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل، وقيل: المعنى صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن. [1]

استحضر الشاعر هذه الأحداث ليعطي لنا نظرة عن أهم القوى التي كانت مسيطرة وطاغية على معظم الشعوب وفرض سيطرتها، وهي سائدة منذ القديم، فحاول إسقاط كل ماهو في الماضي على الحاضر، ونجده يوظّف هذه الأحداث التاريخية خصوصا ما تعلقت بتاريخنا العربي والإسلامي ويستحضرها بصيغ مختلفة شاحنا إّياها بدلالات متنوعة حسب الموقف الشعري المرتبط به.

لقد جاء في النص الشعري تناصات من الأحداث الدينية وذلك لربط الأحداث التي قام بها الإمام محمد الغزالي في محاربة الفساد الذي كان سائدا في الأمة العربية وأّن هذه الأّمة قد خلّفت

(1) محمد سليمان عبد الله الأشقر، المرجع السابق، ص 601.

رجالا عظماء نفتخر بهم ضحّوا بحياتهم من أجل الوطن، ومقارنة ذلك بالأحداث التي خلّفتها معركة القادسية التي كانت بين الفرس والمسلمين والتضحيات التي قدمها المسلمين لنصرة الأّمة الإسلامية، ويظهر ذلك في قول الشاعر:

ولم يلد من بهم نسمو... ونفتخر

كأّنما القادسيات التي عقدت

للفتح ألوية ... ولم يحدها الظفر. [1]

فالقادسية: واحدة من المعارك الخالدة في التاريخ الإسلامي والتي كانت بين المسلمين والفرس، فعلى الرغم من شراسة العدو ضدّ المسلمين إلاّ أنّ المسلمين بعزيمتهم وتوكّلهم على الله تعالى استطاعوا قهر العد والفارسي لتكون تلك المعركة مقدّمة لفتح المدائن، ودخول إيران كسرى، ولّما علم ملك الفرس (يزدجر) بقوة المسلمين بعد الغزوات التي خاضوها، حاول (بزدجرد) الإطاحة بهم، وعندما علم والي العراق المثنى بن الحارثة بنوايا الفرس، قام بإرسال كتاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بمخططات الفرس في غز والعراق وأن يتخذوا احتياطاتهم وكانت هذه المعركة بقيادة كل من الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لقيادة الجيش الإسلامي، وعّين ملك الفرس " رستم" كقائد لجيشه، وعندما علم رستم بحشود المسلمين راسل سعد بن أبي وقاص فارسا إليه (ربعّي بن عامر رضي الله عنه) حيث دخل على "رستم" بكبرياء المؤمن وعزّته، وكانت لكلمات " ربعي"صدى مزلزلة في نفس " رستم" وحاشيته حيث قال: " إّنا جئنا لإخراج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة العباد من ضيق الدنيا إلى سيعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " وأمرنا أن تقاتل من أبى دعوة الله تعالى حتى نرى موعود الله وهو" الجّنة" وكانت هذه

(1) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 105.

المعركة على أرض العراق بين الجيشين وتحديد في منطقة (القادسية) حيث لقي الجيش الفارسي بهزيمة نكراء لتكون كلمة " الله" هي العليا وينتصر المسلمين. [1]

ومن نماذج تناص الشاعر مع الأحداث والمعارك التاريخية معركة "حطّين" حيث يقول :

هذه جيادك في حطّين صاهلة

أن اركبوا ...فصلاح الدين منتظر. [2]

معركة حطّين عام 1187 أحرز صلاح الدين في موقعة حطّين نصرا على الصليبيين، فرجع إلى طبرية وشدّد الحصار على قلاعها حتى استسلمت فأصبح من المحتمل أن يوارى انتصاراته عليهم بعد أن أباد معظم جيشهم فأسروا مقدموهم وقتل الباقون، وكانت معركة حطّين من المعارك التي كتبت بأقلام من نور على صفحات من ذهب وسطرت جبين التاريخ شاهدة بكل معاني الجهاد والتضحية. [3]

كما استحضر الشاعر حرب الشيشان والحرب على غزة في قوله:

وراية الحق في الشيشان عالية

وفي ربى غزة يستنفر الحجر [4]

(1) ينظر: طلال مشعل، وعارك و غزوات، 8:18 ، 22 مارس 2015.

* حطّين و هي قرية عندما قبر شعيب عليه السلام، فضايقهم المسلمون و أشعلوا حولهم النيران، و أشد بهم العطش، فاستسلموا للأسر خوفا من العطش.

(2) الزبير دردوخ، المرجع السابق، ص 107.

(3) جاد محمد رمضان، جهاد المسلمين ضدّ الصليبيين، كلية الدعوة و أصول الدين، ص 11.

(4) الزوبير دردوخ، المرجع السابق، ص108.

حرب الشيشان بين الّروس والشعب الشيشاني، فقد لاقا سكان الشيشان المسلمين اضطهادا كبيرا وانتظروا أن يرفع راية الجهاد من البلاد المسلمين، فلّما كان ما كان قام المجاهدون يدافعون عن أرضهم وبلادهم ورفع الظّلم على إخوانهم، فكان لهم كل ما سجله التاريخ لهم.[1]

جاء ذكر حرب الشيشان كرمز لنهاية الثورة المندلعة فيها ضدّ المستعمر الروسي.

أما بالنسبة لغزة فقد اتخذت مثالا للصمود والمقاومة ضدّ العد والإسرائيلي الغاشم حتى من طرف أولادها، فقد استدعى الشاعر هاته الحروب من أجل استذكار بطولات قادها المسلمون العرب وكانت المناطق التي شهدتها شاهدة على ذلك وسميت عليها، معركة حطّين، حرب الشيشان .

(1) علي نايف السعود، مشاهير الأعلام المسلمين، ص 10.

خلاصة:

انطلاقا من هذا الفصل يمكن القول بان الشاعر الزوبير دردوخ تعامل مع الجانب الديني بكل بساطة وعفوية ويظهر ذلك من خلال البناء الفني الذي تشير إليه مختلف الدلالات والمعاني الخفية التي تحملها هذه الأحداث، بتوظيفه لمختلف أسماء الشخصيات الدينية والصور والأحاديث القرآنية والوقائع التاريخية الإسلامية، التي جاءت مقترنة بها هذه القصيدة الشعرية، وتركت المتلقي يتوه في أعماق الحضارة العربية، عبر مجموعة من الإيحاءات المتنوعة والمتعددة، محاولا من خلالها الشاعر وصف واقعه المعاصر مضيفا عليه لمسة دينية تخدم تجربته الشعرية.

خـــــاتمة

خاتمة:

يستفاد ممّا تقدم أنّ التناص الديني ورد بكثرة في قصيدة " مرثية لآخر لحظة" للزبير دردوخ، ولم يكن وروده مسألة اعتباطية بل له دلالات معينة، وأغراض تنوعت، وتعددت وفق السياقات التي وظّف بها، وعن قصدية تامة، كما أنّ التناص الديني سمة ظاهرة لدى العديد من الشعراء، إذ قامت بعض البناءات الشعرية على التناص بكاملها وهوما يمكن أن نسّميه بالقصيدة المتناصة، التي قامت في تعالقها مع نص مقدس من أولها لأخرها، ويمكن أن نلخّص كل هذا في النقاط التالية:

-أصبح التناص الديني بنية أساسية في القصيدة العربية المعاصرة لأّنه يعطي النص الشعري دلالات وأهمية كبيرة .

-كان لتوظيف النصوص الدينية دلالات جمالية ونفسية ورمزية وسياسية .

-لقد كان للشخصيات التراثية والدينية حضورا بارزا في القصيدة وكان استدعاؤها يمثل قناعا في كثير من الأحيان، من أجل التعبير عن تجارب وهموم الفرد والجماعة، فقام الشاعر بإسقاطها على واقع الأّمة التي تعاني الضعف والاستسلام، إذ ساعد توظيف هذه الشخصيات الشاعر على إثراء تجاربه، ومدّ القصيدة بقيمة دينية وتاريخية وسياسية .

-تفاعل الشاعر دردوخ مع النص القرآني الكريم وما يتضمنه من وقائع دينية مستنبطا منه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشخصيات والأحداث التاريخية التي استطاعت أن تستوعب تجربته بشتّى أبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية.

-استطاع الشاعر الزبير دردوخ التعامل مع التناص الديني بمختلف أنواعه وأن يشحن كل نوع من هذا التناص بدلالات شعرية جديدة وخاصة .

وعليه خلاصة بحثنا هذه حول توظيف التناص في قصيدة " مرثية لآخر نخلة" للزبير دردوخ تتمثل في التناص الديني كان له دورا بارزا في توضيح الأهداف التي من أجلها كتبت هذه القصيدة، وأيضا يؤكد لنا النظرية القائلة أنّ أي نص سواء كان شعرا أ ونثرا لا ينطلق من العدم وإنّما من مكتسبات قليلة متمثلة في كل المعارف السابقة وكيفية توظيفها في المعارف الجديدة، كما أنّ التناص الديني تنوع في هذه القصيدة بين القرآن، والحديث إضافة إلى الأحداث والشخصيات الدينية.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر:

أ) المصادر:

1-الزبير دردوخ، ديوان عناقيد المحبة، منشورات دار هومة، الجزائر

2- عبد الرحمان بن ناصر السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،دار بن حزم بيروت2003.

3- محمد سليمان الاشقر، زبدة التفسير،، دار النفائس لنشر والتوزيع، الاردن،2013.

1- الكتب:

أ – المعاجم

1-ابن منظور،لسان العرب،دارصادر للطباعةوالنشر،بيروت،2000.

3-ابن منظور،لسان العرب،ج5،دار إحياءالتراث العربي،ط3،لبنان،1999.

4-بولارون واخرون،معجم المصطلحاتالادبية،تر:محمدمحمودمجدالمؤسسةالجامعيةللنشروالتوزيع،بيروت 2012.

3- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين،ج2،منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت

ب) الكتب:

1. ابراهيم مصطفى محمد الدهون، التناص في شعر ابي علاء المعري، عالم الكتب،2001.

2. أحمد جبر شعت ،جمالية التناص ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،الاردن،2013 .

3. ابن جعفر العسقلاني، صحيح البخاري،ج3، دار الريان،1986.

4. ابو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت،1379هـ.

5. ابن كثير القرشي أبو الفداء، البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت.

6. البخاري الصحيح ،ج3، دار طوق النجاة، مح: محمد ابن الناصر.

7. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القران، دار الشروق ،ط4،بيروت،1980.

8. جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الابداع الثقافية،الجزائر،2003.

9. حسين منصور العمري، إشكالية التناص، دار الكندي للنشر و التوزيع،الاردن،2014.

10. حصةالبادي،التناصفيالشعرالعربيالحديث،البرغوثينموذجا،داركنوزالمعرفةالعلميةللنشروالتوزيع،عمان،2009.
11. ظاهر محمد الزواهرة ،التناص في الشعر العربي المعاصر، دار الحامد للنشر والتوزيع،2013.
12. عبد القادر يفشي، التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، مطابع افريقيا الشرق،2007.
13. عصام حفظ الله واصل، التناص التراثي في الشعر العربي، دار غيداء للنشر والتوزيع،2011.
14. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.
15. عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح جامع الصغير،ج6،المكتبة التجارية الكبرى،مصر،1356هـ.
16. عمان عبد السميع متولي، التناص اللغوي نشأته وأصوله وأنواعه، العلم ولإيمان للنشر والتوزيع ،2014.
17. محمدمفتاح،تحليلالخطابالشعري،استراتيجيةالتناص،المركزالثقافيالعربي،الدارالبيضاء،1985.
18. نزيه محمد علاوي، الشخصيات القرآنية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2006.

19-ج-مذكرات تخرج :

1. زهرة خالص، التناص التراثي في حدث ابو هريرة قال....."محمود المسعدي، مذكرة الماجستير، كلية الأدب، جامعة الجزائر، 2005 20006.

د- مجلات ومكتبات وموسوعات الكترونية.

01- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، المكتبة الشاملة، ط2، بيروت، 1983.
02- الحديث وعلومه، المكتبة الشاملة، الطبراني في المعجم الكبير، ج12.
03- الموسوعةالعربية العالمية، المعاجم اللغوية والحديثة والفقهية، المكتبة الشاملة.
04- خالد لكحل،اعضاء ملتقى اهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين المكتبة الشاملة.
05- سننالنسائي،موسوعةالحديثالنبويالشريف،الاصدارالثاني.
06- عبد المالك مرتاض، في نظريةالنص الأدبي، مجلة الموفق الادبي،اتحاد كتاب العرب،دمشق، ع:201 كانون الثاني،1988.
07- علي محمد الصليبي، أبو بكر الصديق رضي الله عنه الشخصية و عصم المكتبة الشاملة، 2001.
08- عبد الرحمن ابي بكر ابو الفضل السيوطي،اسعاف المبطئبرجال الموطئ،المكتبة التجارية الكبرى،مصر.
09- محمدرضاالسيرة النبوية، المكتبة الشاملة.

10- محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ابي بكر الصديق افضل الصحابة، المكتبة الشاملة.

هـ- مقالات ومواقع الكترونية:

01-معمر بن راشد موقع جامع الحديث

http://www.alsunan.com

03-منتدى أهل السنة والجماعة،2012/08/11س18:30.

http:/www.3hazh.com2013يوليو11-04

http :www.islammemo.ccهـ663ربيع الأوت09-05

06-طلال مشعل،معارك وغزوات،س22،8:18مارس2015

07-جادمحمد رمضان،جهاد المسلمين ضد الصليبيين كلية الدعوة وأصول الدين.

08-علي نايف الشهود،شاهير الأعلام المسلمين،ص10.

الملاحـــق

مرثية .. لآخر نخلة !! الزبير دردوخ

جَوَادُكَ الحَقُّ مَعْقُودٌ بِهِ الظَفَرُ

وَجُنْدُكَ العَقْلُ وَالإيمَانُ وَالذِكْرُ !!

وَرَايَةُ اللهِ بِالتَّوْحِيدِ خَافِقَةٌ

فِي كُلِّ قَلْبٍ بِمَا ذَكَّرْتَ يَدَّكِرُ !!

عَصَرْتَ مِنْ دَالِيَاتِ النُورِ خَمْرَتَنَا

فَالسَّاكِرُونَ بِغَيْرِ اللهِ مَا سَكَرُوا !!

***

يَا حُجَّةَ اللهِ فِي لَيْلٍ يُذَبِّحُنَا

شَمْسًا طَلَعَتْ .. وَشَمْسًا حِينَ تَسْتَتِرُ !!

عَفْوًا إِذَا شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مَرْثِيَتِي

حُزْنًا عَلَيْكَ .. وَعَفْواً حِينَ تَنْهَمِرُ !!

هَا أَنْتَ تُسَلِّمُنِي لِلْيُتْمِ يَا أَبَتِي

فَكَيْفَ أَشْرَحُ حُزْنِي ؟ كَيْفَ أَخْتَصِرُ ؟ !!

وَكَيْفَ أُطْفِئُ جَمْرَ الهَمِّ فِي كَبِدِي ؟

مِنْ أَيْنَ أَبْتَدِئُ الشَّكْوَى .. وَأَبْتَدِرُ ؟

عَفْواً إِذَا شَرِقَتْ بِالحُزْنِ مَرْثِيَتِي

أَسىً عَلَيْنَا .. وَعَفْواً حِينَ تَقْتَطِرُ !!

***

هَذِي قَوَاعِدُ بَيْتِ اللهِ بَاكِيَة

عَلَيْكَ .. وَالمَسْجِدُ المَحْزُونُ وَالسُّتَرُ!!

مَآذِنُ القُدْسِ كَالْمِحْرَابِ دَامِعَةٌ

وَرَوْضَةُ المُصْطَفَى .. وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ !!

يَكَادُ يَنْطِقُهَا – مِنْ حُزْنِهَا – أَلَمٌ

أَزْرَى بِهَا .. يَكَادُ القَلْبُ يَنْفَطِرُ !!

***

لَمَّا رَأَيْتَ دُرَا الأَوْرَاسِ صَامِدَةٌ

أَدْرَكْتَ أَنَّ عُرَا الإِيمَانِ تَنْتَصِرُ !!

لِأَنَّهُ مَا انْحَنَى إِلّاَ لِخَالِقِهِ

وَمَا تَلَفَّتَ إِلاَّ لَلأَلَى نَذَرُوا

أَرْوَاحَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ .. وَاحْتَكَمُوا !!

للهِ .. وَاقْتَدَرُوا بِاللهِ .. فَانْتَصَرُوا!! ..

***

أَجْفَانُ "سِرْتَا" عَلَى أَحْزَانِهَا اشْتَبَكَتْ

لَمَّا تَنَاهَى إِلَى أَحْدَاقِهَا الخَبَرُ !!

وَكَيْفَ لاَ ؟! وَهِيَ تَدْرِي أَنَّهَا فَقَدَتْ

فِيكَ الإِمَامُ الذِي مَا زَالَ يُنْتَظَرُ !!

***

سَرَى بِكَ العُمْرُ مَطْوِياً إِلَى أَجَلٍ

وَافَى سَرِيعًا ..وَلَيْلُ الجَهْلِ مُعْتَكَرُ ..

فِي أُمَّةٍ تَتَرَدَّى ..وَهِيَ مُدْرِكَةٌ

صِرَاطُهَا مُسْتَقِيمٌ..وَهِيَ تَنْكَسِرُ!!

فِي أُمَّةٍ أَدْرَكَتْ قُصْوَى جَهَالَتِهَا

إِنْ زُفَّ مِنْهَا شَهِيدٌ..قِيلَ مُنْتَحِرُ!!

فِي أُمَّةٍ عَرَفَتْ أَفْرَاسَهَا..وَمَشَتْ

فِي مَوْكِبٍ حَادِيَاهُ الرُّومُ والتَّتَرُ

وَاسْتَأْجَرَتْ جَيْشَ هُولَاكُو وَأَبْرَهَةً

وَجَوَّعَتْ جَدْلَتَيْهَا !! كَيْفَ نَعْتَذِرُ؟ !!

وَحَاصَرَتْ فِي رَوَابِي القُدْسِ خَالِدَهَا

وَسَيْفَهُ..وَأُسُوداً طَالَمَا زَأَرُوا !!

كَأَنَّمَا القُدْسُ لَمْ يَحْبَلْ بِمَكْرُمَةٍ

أَلَمْ يَلِدْ مَنْ بِهِمْ نَسْمُوا .. وَنَفْتَخِرُ؟؟

كَأَنَّمَا القَادِسِيَاتُ التِي عَقَدَتْ

لِلْفَتْحِ أَلْوِيَةً.. لَمْ يَحْدُهَا الظَّفَرُ !!

وَلَا المُثَنَّى تَثَنَّى فَوْقَ أَدْهَمِهِ

عِزّاً ..وَلَا عَزّ صَدِيقٌ..وَلَا عُمَرُ !!

كَأَنَّمَا الخَيْلُ لَمْ تُسَرَّجَ لِمَلْحَمَةٍ

وَمِنْ حَوَافِرِهَا لَمْ يَقْدَحِ الشَّرَرُ !!

كَأَنَّ حَيْدَرَ مَا أَبْلَى وَلاَ نَبَتَتْ

مِنْ جُرْحِهِ المَكْرُمَاتُ البِيضُ وَالعَتَرُ !!

***

سَرَى بِكَ العُمْرُ – مَعْذوراً– عَلَى عَجَلٍ

وَجَاءَكَ المَلَكُ المَوْكُولُ يَعْتَذِرُ !! ذ

كَأَنَّهُ مَاسَقَى مِنْ كَفِّهِ أَحَداً

وَلَمْ يَذُقْ كَأْسَهُ جِنٌّ وَلَا بَشَرُ !!

لَوْ كَانَ يُمْهِلُ وَعْدُ الحَقِّ مَوْعِدَهُ

هَلْ كُنْتَ أَوَّلَ وَعْدٍ يُمْهِلُ القَدَرُ ؟!!

لَكِنَّهَا سُنَّةُ الرَّحْمَنِ نَافِذَةٌ

فِينَا.. وَلَسْتَ مَا أَبْقَيْتَ تَنْدَثِرُ !!

نَحْنُ المُوَاتُ .. لَهِيبُ الجَهْلِ يَصْهَرُنَا

وَأَنْتَ حيٌّ بِنُورِ العِلْمِ تَنْصَهِرُ !!

نَزَفْتَ وَحْدَكَ فَوْقَ الدَّرْبِ مُغْتَرِباً

وَمَا شَكَوْتَ لَظًى وَالدَّرْبُ يَسْتَعِرُ !!

حَتَّى اسْتَوَيْتَ عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعًا

فَذّاً .. كَأَنَّكَ فِي أَيَّامِنَا الخَضِرُ !!

***

تَبَارَكَتْ خُطُوَاتُ الجِيلِ طَاهِرَةً

وَحَمْحَمَاتُ جِيَادٍ عِشْتَ تَبْتَكِرُ !!

تَبَارَكَ الفَجْرُ وَضَاحاً وَمُبْتَسِماً

يَنْسَلُّ مِنْ ظُلُمَاتٍ وَهِيَ تَنْحَسِرُ !!

هَذِي جِيَادُكَ فِي حِطّينَ صَاهِلَةٌ

أَنْ ارْكَبُوا .. فَصَلاَحُ الدِّينِ مُنْتَظِرُ !!

وراية الحقّ في الشيشان عالية

وَفِي رُبَا غَزَّةٍ يَسْتَنْفِرُ الحَجَرُ!!

كَتَائِبُ اللهِ فِي لُبْنَانَ مَا انْكَفَأَتْ

إِنْ قَلَّ يَوْماً أَعَادِيَها .. وَإِنْ كَثُرُوا !!

لَهَا إِلَى كُلِّ ثَغْرٍ وَثْبَةٌ شَرُفَتْ

وَقِصَّةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ تُذَّكَرُ!!

اللهُ أَكْبَرُ فِي الدُّنْيَا مُجَلْجِلَةٌ

فَالْفَجْرَاتُ .. وَإِنْ أَخْفَاهُ مُعْتَكِرُ!!

لاَ يُعْدِمُ اللَّيْلُ رِيحَ الزَّهْرِ مُنْتَشِراً

وَيَتَّقِى بَطْشُ أُسْدٍ وَهِيَ تَحْتَضِرُ !!

***

فِي كُلِّ مِصْرٍ تَرَى فِرْعَوْنَ مُنْتَظِراً

مِيلادُ مُوسَى بِجَيْشٍ كُلُّهُ خَطَرُ !!

لَكِنَّ مُوسَى سَيَأْتِي رُغْمَ مَا حَشَدُوا

وَكُلُّ فِرْعَوْنِ مِصْرَ سَوْفَ يَنْحَدِرُ !!

لَنْ يُلْحِمَ الكُفْرُ خَيْلَ الحَقِّ رَافِضَةً

كِبْرًا يَفُوحُ الشَّذَى .. وَالزَّهْرُ يُعْتَصَرُ !!

***

صَلَّتْ عَلَيْكَ أَحَادِيثٌ وَأَدْعِيَةٌ

وَشَيَّعَتْكَ إِلَى إِغْفَائِكَ السُّورُ !!

وَاسْتَغْفَرَتْ لَكَ فِي السَبْعِ العُلَى أُمَمٌ

وَالبَرُّ..وَالبَحْرُ..وَالوَاحَاتُ..وَالجُزُر!!

يُطْوَى الأَنَامُ إِلَى حِينٍ لِيَنْتَشِرُوا

وَأَنتَ فِينَا مَدَى الأَزْمَانِ مُنْتَشِرُ !!

تَنَازَعَتْكَ بِقَاعُ الأَرْضِ قَاطِبَةً

فَاسْتَأْثَرَتْ بِكَ مَنْ يَثْوِي بِهَا الأَثَرُ!!

فَنَمْ بِجِيرَةِ خَيْرِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ

طَابَ الجِوَارُ ..وَطَابَ الزَّادُ وَالسَّفَرُ !!

***

الفهـــــرس

الفهرس

شكر

إهداء

المقدمة.....(أ،ب،ت،ث)

الفصل الاول:التناص قضايا ومفاهيم

1)توطئة.....ص7

2)التناص كمفهوم وإشكالية.....ص8

3)تعريف التناص ص10

4)مستويات التناص.....ص15

التناص في الدراسات النقدية العربية والحديثة ص16

5)مفهوم الدين ص19

6)التناص الديني ص20

7)التعريف بالشاعر.....ص26

8)التعريف بالديوان.....ص27

9)التعريف باللإمام محمد الغزالي.....ص29

10)التعريف بالمرثية.....ص30

الفصل الثاني: التناص الديني في شعر الزوبير دردوخ مرثية لآخر نخلة أنموذجا

1)التناص مع القرآن الكريم ص36

2)التناص مع الحديث النبوي الشريف ص45

3) التناص مع الشخصيات الدينية ص54

4) التناص مع الأحداث التاريخية الدينية.....ص63

الخاتمة.....ص71

الملحق.....ص74

قائمة المصادر والمراجع.....ص81